الفصل الرابع
النظم في إمارة بني مزيد
واقتصادياتها وأحوالها الاجتماعية والثقافية

- النظم في إمارة بني مزيد:
- النظام السياسي والإداري.
- نظام الجيش.
- اقتصاديات الإمارة.
- الأحوال الاجتماعية.
- الحياة الثقافية.

تشكل النظم في إمارة بني مزيد جزءً من النظام العام للدولة العباسية، مع غلبة الطابع البدوي القبلي علي هذه النظم، ومرجع ذلك إلي أن الإمارة مثلها مثل باقي الإمارات التي ظهرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين مثل إمارة بني عقيل وإمارة بني مرداس وإمارة بني منقذ[١] التي لم تستطع الإستقلال التام عن الخلافة العباسية، فقد دعا الأمراء من بني مزيد للخلفاء العباسيين علي المنابر في مساجد مدن الإمارة وقراها[٢] كما دفعت الإمارة مبلغاً من المال بصورة سنوية للسلطة المركزية في بغداد بويهية[٣]، كانت أم سلجوقية[٤]، بالإضافة إلي احتفاظ الخليفة بحقه في تعيين قاضي الإمارة، وإلي جانب خدمة الأمير القائم من بني مزيد للخليفة العباسي، وذلك ببقائه مع قوة من جنده في بغداد، ليكون طوع أمر الخليفة إذا جد جديد[٥]. كما أن الإمارة لم تخضع للسلطة المركزية في بغداد خضوعاً تاماً، فقد قطعت الخطبة للخليفة العباسي في بعض الأحيان احتجاجاً علي بعض الحوادث[٦] كما توقفت عدة مرات عن سداد المبلغ المقرر سنوياً علي الإمارة، وهو الدلالة المادية علي تبعيتهم للخلافة، كما هاجمت الإمارة السلاجقة والخلافة عدة مرات.

وإبّان تدهور أحوال العراق في فترة وجود الإمارة، لم يكن من المنتظر أن يقدم بنو مزيد جديداً في النظم السائدة، سياسية كانت أم إدارية أو حتي إقتصادية في ظل تغلب الطابع البدوي عليهم من بداية الإمارة حتي نهايتها، فهذا الأمير علي الثاني بن دبيس _ آخر أمراء بني مزيد يرد علي تهديد من السلطان مسعود عام (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) قائلاً لرسول السلطان إليه: "قل له مثلي لا يهدد لأن قصاري أمره أن يخرجني عن جدراني ويبعدني من أوساخها فأسكن في فيافي بني أسد وأقنع بخيام

(١) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ص ٣٨ – ٤٨.
(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٧٧.
(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٣٢٣.
(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٣٠٨؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٣٤٨ .
(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٢٧ .
(٦) نفسه، ج ٩، ص ٧٧.

الشعر وتلال وثماد المياه وخشن العيش"[١] وهذا يوضح أنه بالرغم من الفترة الطويلة التي قضاها بنو مزيد في العراق إلا أنهم لم يتخلصوا من بداوتهم التي انعكست بشكل واضح علي شتي أحوالهم ونظمهم.

النظام السياسي والإداري:

بالرغم من سيطرة الطابع القبلي علي الإمارة، فقد اتسم نظام الحكم فيها بالنضج السياسي في ظل استقرار قاعدة ثابتة لتوريث الحكم منذ بداية الإمارة وحتي أفول نجمها، بخلاف قوي أخري معاصرة لها، مثل إمارة بني عقيل التي قام نظام الحكم فيها علي نظام قبلي خالص قوامه قوة وحسن تدبير من يسعي إلي تولي الإمارة من أسرة بنى مزيد [٢].

وكان التوريث في الإمارة يتم بنص من الأمير القائم من بني مزيد لمن يراه صالحاً للحكم من أولاده، خشية تنازع الأسرة من بعده، فيفشل أفرادها وتذهب ريحهم، ولا لم يشترط في ولي العهد أن يكون أكبر أبناء الأمير سناً، بل كان يمكن أن يكون أصغرهم إذا توافرت فيه الكفاية مثل الأمير "دبيس الأول بن علي"، الذي اختاره والده لولاية العهد رغم أنه كان أصغر أخوته، كما حصل له علي التقليد من الملك البويهي بموافقة الخليفة العباسي[٣].

وكان الأمير عند حصوله علي منصب الإمارة يرسل إليه التقليد من دار الخلافة مصحوباً بالخلع؛ لإعلام الرعية أن الخليفة راضٍ عن الأمير فيسمعوا له ويطيعوا، وكانت هذه الخلعة مكونة من جبة وفرجية[٤] وعمامة وطوق[٥] ومركب[٦] وسيف ومنطقة[٧] ولواء[١]، وفي بعض الأحيان كان الأمير يذهب إلي بغداد بعد أن يحصل

---

(١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق١ ص ٢٠٧.

(٢) خاشع المعاضيدي: دولة بني عقيل، ص ١٠٥.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٢٨٩.

(٤) الفرجية: هي ثوب واسع طويل الكمين (المعجم الوجيز، ص ٤٦٥).

(٥) الطوق: هو ما يحيط بالعنق من الحلي علي سبيل التكريم (ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٢٢٤؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٣٠٣).

(٦) المركب:يرجح أنه كان من الدواب الجيدة.

(٧) المنطقة: هي ما يشد به الوسط (المعجم الوجيز، ص ٦٢٢).

علي مقاليد الحكم معلناً الطاعة والولاء للخليفة وللمتغلب عليه[٢].

وكان أمر اختيار ولي العهد خاصاً بالأمير، لا تتدخل فيه السلطة المركزية، طالما لزم أمراء بني مزيد الطاعة، ولم يحدث أن تدخلت السلطة المركزية سوي مرة واحدة حين توفي الأمير صدقة الثاني بن دبيس عام (٥٣٢هـ / ١١٣٧م) ولم يخلفه من ولده من يصلح للحكم فتدخل السلطان مسعود وولي أخيه محمداً الإمارة[٣].

أما عن مقر الأمير فقد كان حِلل[٤] بني مزيد التي كانت مكونة من خيام تفك وتجمع، ينتقل بها الأمير من مكان إلي آخر، في سلمه وفي حربه[٥] وهذا يدل علي ألفتهم لحياة الترحال، حتي بني الأمير "صدقة الأول بن منصور " مدينة الحلة، لتكون عاصمة ثابتة لهم[٦].

أما عن ألقاب حكام الإمارة، فقد كان لقب " الأمير " منذ عهد الأمير "على الأول بن مزيد "[٧] حتي آخر حكامهم " الأمير علي الثاني بن دبيس " عدا: صدقة الأول فقد حملا لقب " ملك العرب " الذي منحه الخليفة العباسي المستظهر لصدقة الأول عام (٤٩٥هـ / ١١٠١م) [٨] وورث اللقب ولده دبيس الثاني من بعده[٩].

وإلي جانب لقبي الملك والإمارة فقد مُنح أمراء بني مزيد العديد من الألقاب التشريفية مثل لقب " سند الدولة " الذي منحه بهاء الدولة البويهي للأمير علي الأول

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٩٩. اللواء: هو العلم دون الراية وكان من الحرير الأبيض يكتب علي أحد جانبيه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير) وعلي الجانب الآخر (محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون، ثم اسم الخليفة ولقبه) (أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٣٠٤).

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٢٦ .

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج١١، ص ٦٠، ٦١؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٦٢٦ .

(٤) حلل: جمع حلة، و الحلة هي جماعة بيوت الناس (لسان العرب، ج ٣، ص ٢٩٧).

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل،ج١٠، ص ٣٥١؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤٢؛ عبد البحق البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤١٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ١٣٢ .

(٨) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٢٣٢.

(٩) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٢٤٧٨.

[١] وذكر ابن العديم لقباً آخر لعلي الأول بن مزيد وهو بهاء الدولة لكن لم يذكر من الذي لقبه به[٢] كما منح الخليفة المستنصر الفاطمي للأمير" علي الأول" لقباً طويلاً هو " الأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفي أمير المؤمنين " وكان ذلك عام (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) مكافئة لدبيس علي مساندته لثورة البساسيري[٣] كما حمل دبيس الأول أيضاً لقب مجهول المانح وهو " نور الدولة"[٤] ومن الواضح أنها ألقاب تشريفية لا يحصل بها صاحبها علي امتيازات مادية.

وحمل أمراء بني مزيد ألقاباً تشريفية لم تذكر لنا المصادر من منحهم إياها، ويبدو أنهم حصلوا عليها في مناسبات مختلفة تقديراً لهم لخدماتهم للخلافة أو من تغلب عليها، فقد حمل الأمير منصور بن دبيس لقب بهاء الدولة[٥] بينما حمل صدقة الأول بن منصور لقب سيف الدولة " [٦] و حصل دبيس بن صدقة علي لقب " نور الدولة"[٧] في حين لم تتعد ألقاب أواخر أمراء بني مزيد لقب الأمير. وهذه الألقاب قد تكون دلالة علي قوة الإمارة ومدي تأثيرها، فقد وجدنا أن الأمراء الأقوياء لهم القاباً كثيرة، في حين أن الضعفاء منهم لم يحملوا ألقاباً عدا لقب "الأمير".

ولم يكن من الممكن أن يدير الأمير كافة شئون الإمارة وحده، خاصة مع توسعها، لذلك اتجه أمراء بني مزيد إلي اتخاذ نواباً لهم فيما تبعهم من مدن. ومهمة النائب هي تدبير شئون ما يوكل إليه من عمل، وإرسال الخراج إلي الأمير في الحلة بجانب حماية ما وكل إليه من أعمال، وغالباً ما كان النائب من أقارب الأمير، كأن يكون ابنه[٨] أو

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٢٣٤.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٢٤٧٨.

(٣) سيرة المؤيد، ص ١٢٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٢١ .

(٥) نفسه، ص ١٥٠ .

(٦) نفسه، ص ٣٥١.

(٧) زمباور: معجم الأسرات الحاكمة، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٨) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٢٤، ١٣٥؛ ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٣٥٦، ٣٥٧؛ عبد القاد ر المعاضيدي: واسط، ص ٨٦ .

أحد بني عمومته[١].

ومن الثابت أن عدد النواب قد بلغ ذروته في عهد صدقة الأول في ظل اتساع الإمارة إلي أقصي اتساع لها[٢]. وقد اتسم صدقة بالحزم مع عماله، ولم يتوان عن إنزال أشد العقوبات بالمقصر منهم، وخير مثال علي ذلك معاقبة صدقة لمهذب الدولة[٣] – صاحب البطائح – بالسجن عام (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) لإهماله في إقطاعه بواسط، مما أدي إلي عجزه عن تقديم المال المقرر عليه، ولم يتوقف الأمر علي العقاب بل وصل إلي حد العزل[٤].ومن المؤكد أن الكفاءة والقدرة علي الإدارة هي أهم ما طلب من النواب.

وقد استعان الأمير بهيئة معاونة من المستشاريين والموظفيين يعاونونه في تصريف شئون الإمارة، ومن المسلم به وجود تلك الهيئة منذ وقت مبكر في تاريخ الإمارة وكذلك قيامها بدور هام في سياسة الإمارة وعلاقاتها الخارجية، وظهر ذلك واضحاً في مفاوضات الأمير " دبيس الأول بن على " مع المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي – الداعي الفاطمي - وقد تكونت هذه الهيئة الاستشارية من الفقهاء والكتاب[٥]

ويأتي علي رأس الهيئة المعاونة للأمير شخصية "الوزير" ويبدو أن أمراء بنو مزيد في اتخاذهم الوزراء كانوا يتشبهون بالخلفاء العباسيين، ومن الثابت أن وزراء بني مزيد كانوا وزراء تنفيذ لا وزراء تفويض[٦] ذلك أن الأمير كان يتمتع بسلطات

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٣٥٨، ٣٥٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٦٠١؛ مسفر الغامدي: الجهاد، ص ٦٨ .

(٢) حول توسعات صدقة الأول راجع الفصل الأول ص ص ٣٨-٥٤ .

(٣) مهذب الدولة: هو مهذب الدولة السعيد بن محمد بن أبي الجبر حاكم البطائح، خلف والده في حكم البطائح و عظم أمره بها، وتزوج منصور بن صدقة من ابنته فزاد عزه (ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٣٥).

(٤) نفسه.

(٥) المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد، ص ١٢٦.

(٦) الوزارة نوعان، وزارة تفويض ووزارة تنفيذ، ووزارة التفويض هي أن يستوزر الخليفة أو ولي الأمر رجلاً يفوض إليه تدبير الأمور برأية وإمضائها علي إجتهاده إلا الولاية والعهد والتقليد، أما وزارة التنفيذ، فالوزير فيها ينفذ ما يأمر به الخليفة أو الأمير، فهو واسطة بين الأمير ورعيته (الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٥، ٢٦؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية:ص ١٧١).

مطلقة، وهو المنفرد بالسيطرة علي كل شئون إمارته، ومن الواضح أن الأمير "صدقة الأول بن منصور " هو أول من اتخذ لنفسه وزيراً وكان وزيره هو " محمد " والد الشاعر الشهير "حبش" الملقب بشرف الدين [١] كما اتخذ الأمير "دبيس الثانى " من الشريف " منصور بن معية وزيرا له[٢] بينما لم يرد ذكر في المصادر لاتخاذ صدقة بن دبيس أو أخوه محمد من بعده للوزراء، في حين اتخذ آخر أمراء بني مزيد " علي الثاني بن دبيس " وزيراً أسدياً كان يسمي " كمال الدين أبو العباس الأسدي" [٣].

ومن الواضح أن اتجاه صدقة الأول إلي اتخاذ الوزراء جاء في ظل توسع الإمارة وانشغاله بالشئون الخارجية، لذا اتجه إلي الاستعانة بالوزير ليدبر شئون الإمارة الداخلية، ونظراً لندرة المادة التاريخية في المصادر في هذا الصدد فإننا لم نقف إلا علي القليل النادر عن وزراء بني مزيد، ولعل مرجع ذلك إلي تقلص مساحة الإمارة عقب مصرع صدقة الأول، وما تعرضت له الإمارة في ظل سياسة ولده دبيس الثاني، وبالتالي أصبح اتخاذ الوزير شيء من قبيل أبهة الملك لا أكثر.

وإلي جانب الوزراء وجد الكتاب[٤] الذين كان لهم دور مهم في الإمارة، ذلك أن الكاتب من أهم أعوان الأمير، ولا يستقر الحكم إلا بمعاونته، في ظل انتشار الأمية بين بني مزيد، حتي أن صدقة أعظم أمرائهم كان يقرأ ولا يكتب[٥] ومن الواضح أن وظيفة الكاتب قد وجدت منذ فترة مبكرة من تاريخ الإمارة، وكان الكاتب علي درجة من الفقه في الدين والمذهب الشيعي الإمامي، تمكنه من المجادلة المذهبية[٦]، ولقد

---

(١) حبش بن محمد: حلي الأصل، كان من أعظم الكتاب في عصره، عمل وزيراً لدي تمرتاش بن إيلغازي، ولدي عماد الدين زنكي (الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، تحقيق محمد بهجت الأثري، بغداد، ١٩٦٤، ص ١٨٦.

(٢) الشريف منصور بن معية: كان شيعياً زيدياً ومن الأشراف المتصلين بالشجرة النبوية، و قد اتصف بالبخل حتي هجاه الشعراء (الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٢٦٢).

(٣) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٤٤، و لم أعثر للمذكور علي ترجمة.

(٤) وجدت وظيفة الكاتب منذ فجر الإسلام، فقد اتخذ الرسول (صلي الله عليه وسلم) لنفسه الكتاب الذين بلغ عددهم أربعين كاتباً (أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص١٨٦).

(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٩.

(٦) سيرة المؤيد، ص ١٢٦.

تعدد الكتاب لدي الأمير الواحد وكان يصطفي من بينهم كاتباً يقربه منه، فهذا الأمير "صدقة الأول بن منصور " يصطفي لنفسه الشاعر الشهير علي بن أفلح كاتباً خاصاً به[١].

كذلك وجدت وظيفة الحاجب لدي بني مزيد في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور " الذي اتخذ من أبي نصر بن تفاحة حاجباً له[٢] وكان تأخر اتخاذ الحجاب أمراً طبيعياً في ظل غلبة البداوة علي بني مزيد، ذلك أن الدولة في مرحلة البداوة تكون بعيدة عن مظاهر الملك، ويكون الأمير قريباً من الناس، إلا أنه مع الاستقرار ينزع إلي التميز علي أقرانه فيتخذ لنفسه حاجباً يدخل إليه من أحب ويمنع من كره[٣] و هذا ما حدث في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور"، فقد استقر ملكه وأصبح مهاباً وافر الحشمة، فنزع إلي الأخذ بمظاهر الملك ومنها الحاجب الذي كان يصحبه في الحل والترحال، ويشاركه في الحروب ويقاتل إلي جانبه[٤] ولم تذكر المصادر أحد من أمراء بني مزيد اتخذ الحاجب بعد صدقة، ويرجح اختفاء منصب الحاجب في ظل حالة عدم الاستقرار التي عانت منها الإمارة فيما تبقي من سني حياتها خاصة في عهد الأمير " دبيس الثانى".

ومن الوظائف التي وجدت أيضاً وظيفة الخازن المسئول عن الإشراف علي بيت المال، خاصة في ظل اتساع الإمارة، والحاجة الملحة إلي وجود متخصص في هذا الأمر، يشرف علي بيت المال، ويراقب موارده ووجوه الإنفاق خاصة مرتبات الجند علي أساس يضعه الأمير[٥] وممن اشتهر من خازني بني مزيد أبو الحسن علي بن المبارك خازن الأمير " دبيس الثانى " والمتوفي عام (٥٢١هـ / ١١٢٧م) [٦].

أما القضاء فوجوده طبيعي حتي يفصل بين الناس في الخصومات وإنهاء

---

(١) ترجمة علي بن أفلح في الحياه الثقافية ص ٢٤٨ .

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج١٠، ص ٤٤٧، ٤٤٨؛ ولم أعثر علي ترجمة لأبي نصر بن تفاحة.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ١٦٨؛ محمد محمود بدر: تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلي الفترة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد، ٢٩، الكويت، ٢٠٠١، ص ١٣ .

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٧.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ٧٠.

(٦) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١،ص ١٥٤.

النزاعات[١] وقد تعدت وظيفة القاضي لدي بني مزيد القضاء إلي السفارة أحياناً فقد أرسل الأمير " دبيس الثانى " بن صدقة القاضي أبي جعفر بن عبد الواحد الثقفي إلي إيلغازي بن أرتق ليخطب ابنته لدبيس[٢] وفيما يبدو أن تعيين القاضي كان يأتي من بغداد نيابة عن قاضي القضاة ومن المرجح أنه كان حنفياً سنياً تبعاً لمذهب دار الخلافة، في حين اعتمد جمهور الإمارة علي القضاه من فقهاء الشيعة الإمامية للفصل في خصوماتهم.

هذا بشأن نظام الحكم والإدارة في عهد بني مزيد، وكان نظاماً بسيطاً حاولت فيه الإمارة أن تتشبه بالخلافة العباسية، و بالرغم من كثرة المعاونيين إلا أن الأمير كان يصرف معظم الأمور بصورة تكاد تكون مباشرة ومرجع ذلك إلي غلبة الطابع البدوي علي الإمارة طيلة حياتها.

نظام الجيش:

نشأت إمارة بني مزيد في محيط سياسي رافض لوجودها وبالتالي وجود جيش قوي كان أمراً لابد منه، ولا نستطيع أن نقول إن إمارة بني مزيد كانت ذات جيش نظامي مثل الجيوش المعاصرة، إلا أنه كان هناك جيشاً يعتمد علي التعبئة السريعة من خلال النداء في جمهور بني أسد حيث يخرج كل قادر علي القتال دفاعاً عن شرف القبيلة أولاً، وطلباً للغنيمة ثانياً، يضاف إلي ذلك فخر بني أسد ببني مزيد، لآنها ولآول مرة في تاريخهم تكون لهم شوكة ويعمل حساب لهم ويدخلون في موازيين القوي العسكرية[٣].

وبالرغم من أن بني أسد هم عماد الجيش في الإمارة إلا أنه انضم إليهم عدد آخر من القبائل العربية في بعض المناسبات مثل بني خفاجة[٤] التي اشتبكت مع بني مزيد في مناسبات عدة إلا أن هناك قسماً منهم استقر في جوار بني مزيد وشاركوا مشاركة

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٥٤.

(٢) ابن الجوزي:المنتظم، جـ٩، ص٢١٧؛ ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٥٦١. أبو جعفر بن عد الواحد الثقفي هو قاضي الكوفة و بلاد بني مزيد (ابن الجوزي: المنتظم، جـ٩، ص ٢١٧).

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٢٤٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٣٥٢؛ محمد الخفاجي: الخفاجيون في التاريخ، ص ٧٦؛ دائرة المعارف الاسلامية، ج٢، ص ٤٤١ .

فعالة في حروبهم لدرجة وصول أحدهم وهو سعيد بن حميد الخفاجي إلي منصب القائد العام لجيش الأمير "صدقة الأول بن منصور" [١] وبالإضافة إلي بني خفاجة شارك عدد آخر من بطون القبائل العربية في جيش بني مزيد مثل بنو المنتفق وبنو عبادة [٢].

ولم تقتصر عناصر الجيش علي العرب وحدهم بل شارك الأكراد مشاركة فعالة خاصة عشائر الشاذنجان والجوانية[٣]. وقد شاركوا في معظم المعارك التي خاضتها الإمارة والتي أودت بحياة كثير من أعيانهم مثل " أبي النجم بن أبي القاسم الكردي " وهو خال للأمير "صدقة الأول بن منصور " [٤]، وإلي جانب الأكراد والعرب شاركت أعداد قليلة من الأتراك خاصة في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور " [٥] لكن من الواضح أن مشاركتهم لم تطل بعد الصدام بين صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه[٦].

أما عن قيادة الجيش، ففي بداية عهد الإمارة كانت بيد الأمير، لكن مع اتساعها استلزم الأمر اتخاذ نواباً عن الأمير، وقد يكون القائد من أسرة بني مزيد مثل بدران بن صدقة[٧] وثابت بن سلطان وهو ابن عم للأمير "صدقة الأول بن منصور "[٨] وقد يكون من الأكراد مثل عنتر بن أبي العساكر الجاواني قائد جيش دبيس بن صدقة[٩] وخلفه أخوه مهلهل بن أبي العسكر[١٠]. وهذا التنوع في القادة وأعراقهم في الجيش

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤١ .

(٢) نفسه، ص ٤٨٤؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٦٠٩ .

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٢٤٩، و لمزيد من التفاصيل عن الأكراد راجع الحياه الاجتماعية، ص ٢٣٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٢٤٣ .

(٥) نفسه، ص ٣٧٧؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، ج ٢، ص ٦١.

(٦) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق١، ص ٢٥، ٢٦.

(٧) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٢.

(٨) نفسه، ص ٤٤٣.

(٩) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٤١.

(١٠) النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٤١.

يوضح لنا مدي التسامح لدي بنو مزيد، وأن الأساس في اختيار القائد هو الكفائة والقدرة علي قيادة الجيش، وهذا يوضح لنا مجانبة الصواب لدي من أكدوا سيادة التعصب العربي ضد باقي الأجناس في العصر العباسي[١].

ولم تخرج مهام الجيش عن الأغراض التي قننها ابن خلدون[٢] وهي" الغيرة أو المنافسة وإما العدوان و إما غضب لله و الملك ". و هي مهام قام بها جيش بني مزيد فقد خرج لإغاثة بني عقيل حين هاجمهم السلاجقة عام (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)[٣] كما خرج الجيش للثأر وتجلي ذلك في حرب بين مزيد مع بني عمومتهم بني دبيس بن عفيف الأسدي [٤] كذلك خرج الجيش في مهام قتالية لصالح الخلافة أو من تغلب عليها[٥]. ويضاف إلي ذلك المهام الناجحة التي نفذها الجيش في عصر صدقة الأول لأغراض توسعية بلغت بها الإمارة أقصي اتساع لها، كذلك لعب الجيش دوراً فعالاً في القضاء علي حركات التمرد داخل بني مزيد والتي ظهرت عدة مرات، ومن أشهرها حركة ثابت بن علي بن مزيد[٦]، وهذا النوع من الحروب أطلق عليه ابن خلدون "غضب للملك ".

أما عن فنون الحرب، فلا نستطيع أن نقول أن بني مزيد قد أضافوا جديداً إليها لكننا نلاحظ بوضوح تطور فنون القتال بصورة تدريجية لديهم، والسبب الأساسي في ذلك هو احتكاكهم بالأمم الأكثر خبرة منهم في فنون الحرب، خاصة السلاجقة، فقد اتبع بنو مزيد في بداية عهدهم الأسلوب البدوي في القتال القائم علي الكر والفر، مع اتخاذ ملجأً ثابتاً يلجأون إليه في كرهم وفرهم، وغالباً ما يكون خيمة بها المؤن والمعدات يجتمع حولها النساء والأطفال والحيوانات، وهي بمثابة الساقة لديهم، وهي

---

(١) افريم البستاني: نماذج العناصر البشرية في بغداد زمن العباسيين، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٤٣، ص ٤١٢.

(٢) المقدمة، ص ١٨٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٣٨٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ١٨٢.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٢٧؛ ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٤٩٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٤٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ١٩، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٨٤، ص ٥٦٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٤٧١.

(٦) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٥٩٥ .

في اعتقادهم أمور ادعي إلي الثبات لأن المحارب منهم إما أن يرجع بغنيمة، أو يقتل ويفر رفاقه، فتصير أمواله غنيمة ونسائه سبايا[١] وقد اتبع بنو مزيد هذا الأسلوب في القتال في تاريخهم المبكر، وقد جر عليهم هذا الأسلوب العديد من الخسائر الفادحة، ففي مساندتهم لبني عقيل عام (٣٩٢هـ / ١٠٠١م) هُزموا ونهبت ساقتهم، وكانت خسائرهم كبيرة لضياع ثروة ضخمة كانت موجودة في خيامهم [٢] وقد استمر هذا الأسلوب متبعاً في حروب بني مزيد بشكل واضح حتي منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[٣].

ونظراً لاحتكاك بني مزيد بالسلاجقة، أخذت فنون الحرب تنتقل إليهم، ويبدو أن ذلك بدء في عهد السلطان ملكشاه حين شارك بنو مزيد في قتاله ضد عمه قاروت [٤] حين قسم السلطان ملكشاه جيشه إلي أقسام بنظام الكراديس القائم علي تقسيم الجيش إلي مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة، واستقر السلطان ملكشاه في القلب [٥]، وبالرغم من هذا الأسلوب المتقدم في فنون القتال بالنسبة لبني مزيد إلا أنهم لم يتخلصوا من عادتهم القديمة باصطحاب نسائهم و خيامهم و سائر أمتعتهم، و يمكن أن نعتبر هذه المرحلة بمثابة المرحلة الانتقالية بين النظم البدائية أو البدوية، وبين النظم أو الأساليب المتطورة في فن القتال القائم علي نظام الكراديس. وقد ظهر استخدام هذا الأسلوب بشكل واضح في موقعة النعمانية (٥٠١هـ / ١١٠٧م) ففي هذه المعركة صف صدقة الأول جيشه وقد جعل في الميمنة جماعة من الأكراد، وفي الميسرة ابنه بدران ومعه جماعة من الأعراب، أما صدقة فقد استقر في القلب[٦] كما ترك نساءه

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٩١.

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج٩، ص ١٧١.

(٣) سيرة المؤيد، ص ١٣٤.

(٤) قاروت: هو أحد أخوة السلطان ألب أرسلان، سعي إلي الملك بعد وفاة أخيه عام (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) وسعي إلي الاستيلاء علي قاعدة ملكهم في الري، إلا أن ملكشاه بن ألب أرسلان استطاع الفتك به قرب همذان في نفس العام(ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٧٨، ٧٩؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٠، ٥١).

(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٧٨، ٧٩؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٠ .

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٥٦؛ كر كوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٣٠.

وخزائنه في الحلة[١] وهو ما يدل علي تطور فن الحرب لدي بني مزيد حتي وصل إلي تقسيم الجيش في المعارك طبقاً للأساليب المتبعة بين القوي الكبري المعاصرة.

غير أن هذا التطور لم يستمر طويلاً، فقد أخذ جيش بني مزيد يتراجع تنظيمة نحو الأساليب البدائية في عهد دبيس بن صدقة، فرغم اتجاهه إلي تقسيم جيشه إلي قلب وميمنة وميسرة، إلا أنه صفهم صفاً واحداً كما حدث في قتال دبيس بن صدقة مع الخليفة المسترشد عام (٥١٧هـ / ١١٢٣م) متخلياً عن نظام الكراديس،كما اتجه إلي اصطحاب نسائه وأولاده معه في الحرب[٢] وقد يرجع ذلك إلي استعداد دبيس للفرار بنسائه وأمواله في حالة الهزيمة خشية عدم تمكنه من العودة إلي الحلة.

أما عن تكوين الجيش وتسليحه، فقد تكون من قسمين أساسيين هما المشاه والفرسان، وكان من المعتاد أن تكون المشاه أمام الفرسان[٣]، وكان تسليحهم هو التسليح التقليدي بالسيف والرمح [٤] وبالرغم من استخدم الأقواس [٥] في الرمي بالنبال منذ زمن بعيد في التاريخ العربي، إلا أن هذا السلاح لم يكن مشهوراً لدي بنو مزيد، ولم يبلغوا درجة عالية من المهارة في استخدامه حتي أنهم في معركة النعمانية لم يكن لديهم فرقة ترمي بالنبال لتجابه فرقة الرماة التركية التي كانت تستخدم أسلوب الرميات المكثفة، كل رمية عشرة آلآف سهم[٦]، ومن المسلم به استخـــــدامهم التروس[٧] باختلاف أنواعها لحماية المقاتل عند المبارزة بالسيف أو الرمح، ومن

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٦٨ .

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٤٣؛ ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٦٠٩.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٢٤٢؛ ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٦٠٨ .

(٤) الرمح: عبارة عن عود من شجر صلب أو من القصب الهندي المجوف أحياناً، ينتهي برأس مدبب من المعدن (محمد أبو غزالة: الانتصارات الكبري في صدر الإسلام، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٥).

(٥) الاقوس: هى ألة للرمي نصف دائرية تطلق السهام أو النبل، وكان القوس يصنع من عود من شجر جبلي صلب مقوس يشد طرفيه بجلد أو عصب للرمي (عبد الحليم أبو غزالة :الإنتصارات العربية، ص ٣٤).

(٦) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٧ .

(٧) الترس: كان عدة أنواع منها المسطح والمقبب، وكل منها له استخدامه، فالمقبب يستخدم في حالة المبارزة بالسيف و لاتقاء الضرب بالنشاب أو الحجارة، والمستطيل في حالة النزاع بالرمح (عبد الحليم أبو غزالة : الإنتصارات العربية، ص ٢٧).

الواضح أيضاً أنهم قد عرفوا البيضة[١] أو الخوذة الحديدية لحماية الرأس لكنهم عرفوها باسم القحف [٢] كما أنهم لم يعتادوا استخدام الدروع المصنوعة من المعدن أو الحديد، خاصة أنهم مثل باقي العرب يتباهون بعدم لبس الدروع في القتال[٣].

أما عن حجم جيش الإمارة و تعداده، فلم يكن ثابتاً فقد تراوح بين بضع مئات وعدة آلاف. وقد تمكن صدقة الأول من جمع جيش ضخم مكون من ثلاثين ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس وعشرين ألف راجل[٤]. كما تمكن ولده دبيس من جمع عشرة آلاف فارس واثني عشر ألف راجل[٥] ورغم قلة الأرقام التي وصلت إليها، وما يمكن أن تحمله من مبالغات خاصة أن أساليب الإحصاء لم تكن دقيقة في هذا العصر، لكن لانستبعد ضخامة هذه الحشود. خاصة إذا علمنا حجم الهيبة الذي تمتعت بها بنو مزيد وسط القبائل العربية في جنوب العراق، ولعل خير دليل علي ذلك عبارة رددتها مجموعة من أسري جيش دبيس الثاني التي حكم عليها الخليفة المسترشد بالقتل عام (٥١٧هـ / ١١٢٣م)؛ فحين كان يقدم الواحد منهم للقتل كان يتقدم ثابت الجأش ويمد رقبته للسيف مردداً " فداك دمي يادبيس "[٦] وهو ما يوضح مدي حب العرب لدبيس الثاني، وكذا الأكراد، كما يوضح سرعة تجمع الحشود حول الأمير دبيس عند ظهوره في أي وقت، كما حدث عام(٥٢٣هـ/ ١١٢٩م) حين دخل دبيس العراق و معه ثلاثمائة فارس فقط، وخلال فترة وجيزة تجمع حوله نحو عشرة آلاف فارس[٧].

وقد برع بنو مزيد في استخدام أساليب قتالية عديدة منها الكمائن، مثل الكمين الذي نصبه الأمير " دبيس الأول بن على " للإيقاع بجند واسط عام (٤٤١هـ /

---

(١) البيضة: هي خوذة من حديد، يلبسها الفارس في رأسه ليتقي بها ضربات الخصم، وكانت مستديرة الشكل حسب استدارة الرأس(عبد الحليم أبو غزالة :الإنتصارات العربية، ص ٣٩).

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٥٦.

(٣) عبد الحليم أبو غزالة :الإنتصارات العربية، ص ٣٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤١.

(٥) نفسه، ص ٦٠٩.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٢٤٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٦٥٥.

١٠٤٩م)[١]. كما استخدموا وسائل لتضليل العدو حتي لا يعرف الجهه التي يخرج إليها الجيش لمباغتة العدو[٢] إلا أن بنى مزيد لم يكونوا مقدرين لأهمية طبيعة أرض المعركة، وتأثير العوامل الجوية، هو ما عرضهم لخسائر فادحة في أخطر معركة دارت في تاريخ الإمارة وهي معركة النعمانية التي دفعوا فيها ثمناً فادحاً بخسران أعظم أمرائهم الأمير "صدقة الأول بن منصور " الذي صرع في أرض المعركة، ففي هذه المعركة وقف الأمير "صدقة الأول بن منصور " في أرض رخوة تحت مهب الريح، مما أعاق حركتهم وجعلهم صيداً سهلاً لسهام السلاجقة[٣].

وقد اعتاد بنو مزيد استخدم وسائل شتي لإثارة حفيظة المقاتلين منها إطلاق صيحات معينة لشحذ همم المقاتلين[٤]، كذلك إطلاق صيحات لإحباط عزم المهاجمين مثل نداء الأمير " دبيس الثانى " لجيش الخليفة المسترشد بالله يوم معركة المباركة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) قائلاً: "يا أكلة الخبز الحواري، والكعك الأبيض، اليوم نعلمكم الطعان و الضرب بالسيف " كما شاع استخدام الدفوف والمغنيين، الذين يقومون بإنشاد الأغاني التي تشد من أزر الجند للقتال[٥].

اقتصاديات الإمارة:

لقد كانت أحوال الإمارة الإقتصادية من أكثر الأمور التي تأثرت بالطابع البدوي، وبالتالي لم تسجل لنا المصادر المعاصرة للإمارة إنجازاً يذكر في المجال الإقتصادي؛ ذلك أن العرب وهم سواد جمهور الإمارة قد غلب عليهم طابع البداوة والأنفة من العمل في الزراعة والصناعة، وفضلوا الأعمال العسكرية، سواء في إطار جيوش نظامية، أو في غارات قبلية ناهبة[٦]. وقد بذل سيف الدولة صدقة الأول جهوداً كبيرة لتوطين البدو في مدينة الحلة وضواحيها، إلا أن مصرعه أودي بكل ذلك. هذا

---

(١) نفسه، ج ٩، ص ٥٥٧.

(٢) نفسه، ج ١٠، ص ٤٠٣.

(٣)نفسه، ص ٤٤٨ .

(٤) سيرة المؤيد، ص ١٣٤.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٢٤٢.

(٦) عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتاصادي، ص ٣٣.

بالإضافة إلي الصراع الذي نشب بين الإمارة والخلافة العباسية في عهد الأمير " دبيس الثانى " [١] بذلك تراجع الإنتاج الزراعي والصناعي في منطقة جنوب الفرات، وهو أمر طبيعي شأن الإمارة في ذلك شأن جميع الإمارات والكيانات الصغيرة ذات الطابع العسكري التي أعتمدت علي غنائم الحروب عماداً لوارداتها المالية[٢].

ومن الجدير بالذكر أن أحوال العراق الإقتصادية خلال الفترة التي وجدت فيها إمارة بني مزيد تحت السيطرة البويهية علي الخلافة العباسية كانت غير مستقرة في ظل الصراعات المستمرة بين أفراد أسرة بني بوية من حكام العراق، وفي ظل تلك الحالة تدهورت الأحوال التجارية خوفاً من الناس علي أموالهم[٣] بالإضافة إلي انتشار النظام الاقطاعي البويهي منذ عهد معز الدولة (٣٣٤ – ٣٥٦هـ / ٩٤٥ – ٩٦٦م) الذي لم يستطع سداد مرتبات الموظفين والجنود فأقطعهم الأراضي بدلاً من المرتبات الثابتة، وهو الأمر الذي جعلهم لا يهتمون بإصلاح الزراعة ويكتفون بإستنزاف الأراضي الزراعية، ثم يطالبون بغيرها[٤] . وترتب علي ذلك هروب الفلاحين من أراضيهم وسكناهم المدن علهم يجدون ظروفاً ملائمة للحياة الكريمة، وفي الوقت نفسه أخذت المدن في التراجع، وتقلصت مساحتها بالتوازي مع القري[٥].

وبالرغم من السيطرة السلجوقية علي العراق منذ (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) إلا أن السلاجقة لم يقدموا جديداً يصلحون به اقتصاد العراق، ويرجع ذلك هو استمرارهم في الحروب التوسعية، وبالتالي بقي النظام الإقطاعي العسكري، وقد رصد آشتور[٦] هذا الأمر، وبين استمرار تدهور الإقتصاد، وعدد مظاهر ذلك ومنها: ذيادة الفورارق الطبقية، والحد من حرية المشاريع الصناعية باحتكار الصناعات، وتدهور حرفة

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، أحداث الفترة من ٥١٢هـ إلي ٥٢٩هـ .

(٢) خاشع المعاضيدي: دولة بني عقيل، ص ١٦٥.

(٣) خاشع المعاضيدي: إمارة بني عقيل، ص ١٦٤.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطي، ترجمة عبدالهادي علبه و غسان سبانو، دار بن قتيبة، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢١٨.

(٦) آشتور: المرجع السابق، ص ص ٢٧٧، ٢٨٠.

الصيرفة لقلة السيولة المالية، وتقلص المصادرات من الوزراء والموظفين المعزولين، يضاف إلي ذلك كثرة الضرائب وابتزاز المحاربين للصناع، وهو ما انعكس علي أعداد السكان التي أخذت في التناقص واختفاء كثير من القري وتحول كثير من المدن إلي قري.

وبالرغم مما تحدثنا عنه من تدهور إقتصادي حل بالإمارة فإن الزراعة كانت المصدر الأساسي لدخل الإمارة، التي تركزت حول نهر سورا وقناة النيل[١] وتلك المنطقة من أخصب بقاع العراق، بل أخصب بقاع البلاد الإسلامية وهو الأمر الذي ساعد علي انتشار زراعة الغلات والمحاصيل المختلفة، وعلي رأسها النخيل الذي لقي عناية من بني مزيد، وعلي وجه التحديد الأمير "صدقة الأول بن منصور "، الذي عني عند اختطاط مدينة الحلة بنشر حدائق النخيل في أرجائها حتي ظهرت وكأن كل بيت له حديقته الخاصةبه [٢] وانتشرت أصناف الأعناب والفواكه حول نهر سورا[٣]، ومن الواضح أن الأمير "صدقة الأول بن منصور " قد عني بالزهور والرياحين مثل الكافور والريحان والنرجس، التي حرص علي وجودها في مجالسه وتغني بها الشعراء[٤] وقد كانت محاولة صدقة الأول للعناية بالزراعة خطوة لنقل بني أسد من طور البداوة إلي طور الاستقرار والحضارة، أما باقي أمراء بني مزيد فلم تنوه المصادر عن أي اهتمام بالزراعة في ظل حالة عدم الاستقرار التي تحدثنا عنها من قبل.

وقد كان ري أراضي الإمارة يتم سيحاً بفتح سدود القنوات للأراضي المجاورة للأنهار، أو بواسطة الآلات الرافعة، ولعل أكثرها انتشاراً النواعير[٥]. وبالرغم من

---

(١) عن النهرين راجع الفصل الأول ص ٥،٧.

(٢)رحلة ابن جبير، ص ١٦٠؛ رحلة بن بطوطة، ص ٢٢٠

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١١٧.

(٤) الأصفهانى: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٥) النواعير: جمع ناعورة و هي عبارة عن ألة مكونة من دولاب يدار بواسطة حركة الماء، ويتصل بها عدد من الكيزان ترفع الماء، وبكل ناعورة ثمانين كوزاً، ويحمل كل منها خمسة عشر رطلاً من الماء، وهو ما يعادل ٦.٧ لتراً، وبالتالي كل دورة تحمل ألف ومائتي رطلاً من الماء كافية لري جريب من الأرض كل ساعة والجريب يعادل ١٥٩٠٢ متراً بالمقاييس الحديثة (عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الإقتصادي، ص

سيطرة بني مزيد علي الأراضي التي وقعت تحت سلطانهم إلا أنها لم تكن سيطرةً خالصة، بل تخللتها بعض الإقطاعات الخاصة بالخلافة، التي كانت تخضع مباشرة للخليفة العباسي، وكان يرسل إليه الجباه لجمع الخراج[١]. ولعل هذا الأمر يعد من أهم مظاهر ضعف الإمارة، إذ أنها لم تكن نطاقاً واحداً متصلاً بسبب هذه الإقطاعات، مما يسر إختراقها والوصول إلي حاضرتها بسهولة مما يزيد من حرج موقف الأمير المدافع عنها.

وقد كان دخل بني مزيد من خراج الرض كبيراً، سواء تلك الأرض التي استواوا عليها بحد السيف، أو منحها لهم سلاطين السلاجقة، لدرجة أن الخراج المقدر عليهم من قبل السلطان بركياروق وصل إلي ألف ألف دينار[٢]. ومن المسلم به أن حالة الزراعة قد تدنت في عهد الأمير " دبيس الثانى " الذي وصل به الحد إلي لفرار من العراق كله[٣].

هكذا نخلص إلي أن الزراعة كانت من أهم مصادر دخل الإمارة، وبالرغم من انصراف معظم أمراء بني مزيد عن الأهتمام بها واكتفائهم بالتوسع العسكري والإعتماد علي الغنائم، والملاحظ أن ما جمعه جباة بني مزيد من الخراج لا يعدو إلا شيئاً قليلاً إذا قورن بجبايات المنطقة في عصور سابقة[٤].

أما عن الصناعة، فالمعروف أنها لا تظهر دفعة واحدة، بل تتطور عبر الأجيال حتي تستقر و تصبح ذات جودة عالية تجعل لنفسها سمعة حسنة في الأسواق، وهذه الصناعة تزدهر بالاستقرار والتحضر[٥] ورغم أن العراق قد اشتهر بالعديد من الصناعات، نشأت وتطورت منذ أقدم العصور، إلا أن الحالة السياسية في العراق في العهد البويهي، وما نتج عن حالة عدم الاستقرار بسبب صراعات سلاطين آل سلجوق

(٧٣

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٥٩٩.

(٢) نفسه، ص ٣٠٨.

(٣)نفسه.

(٤)أشتور: التاريخ الاقتصادي،ص ٢٧٨.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢١٨.

من بعدهم، أدت إلي تدهور هذه الصناعات والحرف ومع ذلك بقيت بعض الصناعات بشكل متواضع مثل أكسية الصوف التي اشتهرت بها مدينة النعمانية[١] ونسيج البصرة المشهور[٢]. وعلي كل فالصناعة لا تعتبر من مصادر دخل الإمارة، في ظل حالة عدم الاستقرار السياسي الواضح.

أما عن التجارة فلاشك أنها كانت ذات دور كبير في اقتصاديات الإمارة نتيجة الموقع الممتاز الذي سيطرت عليه الإمارة ومربه طريق الحج الكوفي، الذي كان يمر بمدينة قصر ابن هبيرة، ثم تحول إلي الحلة، مما أدي إلي اندثار مدينة قصر بن هبيرة[٣] وقد وصفت الحلة بأنها كثيرة الأسواق دائمة الشراء والبيع[٤] كما أشاد ابن جبير[٥] بالحلة وبجسرها الرابط بين ضفتي الفرات وثني عليه بن بطوطة [٦] مؤكداً هذا الازدهار.

وكان طريق الحج يبدأ من ضواحي بغداد [٧] ومنها إلي جسر يعبر عليه الحاج إلي نهر صرصر ومنه إلي نهر الملك ثم نهر كوثي ثم قصر بن هبيرة [٨] ثم يعبر نهر سورا علي جسر من السفن [٩] ومنه إلي مدينة الكوفة ثم البادية حتي مكة، وفي القرن السادس الهجري تحول طريق الحج من قصر بن هبيرة إلي الحلة[١٠].

وقد ساعد علي أزدهار التجارة في الحلة سهولة اتصالها بالخليج الفارسي، فأصبحت من أهم المراكز التجارية في العراق، وقصدها التجار من كل مكان [١١] وترتب علي ذلك نشاط المعاملات التجارية المختلفة، وسارع اليهود إلي الاستقرار بها

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٨.

(٢)نفسه.

(٣) لسترنج بلدان الخلافة، ص ٩٧.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، هامش لمجهول، ص ٢١٩.

(٥) رحلةا بن جبير، ص ١٨٠.

(٦) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٢٠.

(٧) لسترنج: بلدن الخلافة الشرقية، ص ١١١.

(٨) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص ١٨٢.

(٩) لسترنج بلدان الخلافة، ص ١١١.

(١٠) نفسه .

(١١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

للعمل بالجهبذة[١] والصيرفة وبذلك أصبحت الحلة من أهم المراكز التجارية في جنوب العراق، خاصة بعد تدهور الكوفة في ظل تعدد هجمات البدو عليها[٢].

أما عن العملة فلم تذكر لنا المصادر اتجاه أمراء بني مزيد إلي سك عملة خاصة بهم، والواضح أنهم قد اكتفوا باستخدام العملات السائدة في العراق بصفة عامة خاصة الدراهم والدنانير المسكوكة في بغداد[٣].

وبالرغم من التدهور العام لأحوال العراق المالية إلا أن بني مزيد استطاعوا توفير سيولة مالية وكنوز جمعوها في ظل حملاتهم الناهبة، وكثيراً ما كانت تضيع مدخراتهم النقدية والذهبية والعينية عندما يتعرضون لهزيمة علي يد إحدي القوي، خاصة أنهم كانوا ينتقلون من مكان إلي آخر بكل ما يملكون ومعهم أولادهم ونساؤهم شأنهم شأن أعراب البادية [٤] ويضاف إلي حملات النهب، جبايتهم الأموال وسواد جنوب الفرات، حتي أنهم طولبوا بمبلغ ألف ألف دينار في عهد السلطان السلجوقي بركياروق[٥] ومن الواضح أن الجبايات كانت تتم قبل موعدها أحياناً خاصة في فترات عدم الإستقرار، والحالة السياسية للإمارة. فهذا الأمير " دبيس الثانى " عندما يأس من البقاء في العراق قام بجمع الأموال من جميع أملاكه خاصة الحلة و سار إلي سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر ومعه أربعمائة ألف دينار ذهب ومثلها من الجواهر، ومثلها من المتاع، أنفقها صاحب قلعة جعبر حتي رخص الذهب[٦].

علي أن الأمر الواضح هو عدم إتجاه أمراء بني مزيد إلي تنمية موارد الإمارة عن طريق الإهتمام بالمشروعات العمرانية والصناعية – عدا عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور " - في ظل غلبة البداوة عليهم في بادىء أمرهم، وحالة عدم

---

(١) الجهبذة: الجهبذ لغة هو النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطريقة النقد، والجهبذ قبل كل شىء تاجر ثم صار صاحب بيت مالي وسع أعماله فصار يشتغل بالتسليف أيضاً، بمعني أنه أصبح ما يعرف في العصر الحديث بصاحب بنك (عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتصادي، ص ص ١٩١ – ١٩٥).

(٢) مجلة المشرق، ١٩٣٤، ص ٤٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٣٠٢.

(٤)ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ١١٨.

(٥) نفسه، ص ٣٠٨.

(٦) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٨٨.

الاستقرار التي عانت منها الإمارة في عهد الأمير " دبيس الثانى "، وبالتالي اعتمد اقتصاد الإمارة بصفة أساسية علي ما تجمعه في حروبها والاكتفاء بجباية خراج المناطق التي خضعت لهم.

الأحوال الاجتماعية:

لقد تعددت عناصر السكان في إمارة بني مزيد وكان في صدر القائمة العرب، فقد كان العرب في جنوب الفرات قسمين: حضر وبدو، فالحضر هم سكان المدن، وقد اختلطوا بسكان البلاد الأصليين وشاركوهم في أعمالهم المختلفة، غير أن قطاعاً عريضاً من هؤلاء العرب قد رفض الاندماج حياة المدن وبقوا علي بداوتهم بدعوي أن ذلك يبقي علي حريتهم ونقاء عنصرهم و أنفوا العمل بالزراعة والصناعة والتجارة [١] وسكنوا البيوت العربية التي تكونت من حلل، كل حلة عبارة عن مجموعة من الخيام[٢] يسهل تجميعها وفكها مما يساعد علي سهولة التنقل من مكان إلي آخر بحثاً عن المرعي أو سعياً للإغارات، ومعهم كل أموالهم وأمتعتهم، وهو الأمر الذي أدي في كثير من الأحيان إلي سهولة نهب كل أموالهم وأمتعتهم، وسبي نسائهم إذا ما هزمت العشيرة من جانب أي قوة معادية[٣]. وظل أمراء بني مزيد لفترة طويلة من تاريخهم تقارب القرن يعيشون بهذه الطريقة قينتقلون بحلتهم من مكان إلي آخر حتي ثبتها الأمير "صدقة الأول بن منصور " ببناء مدينة الحلة لتكون عاصمة ثابتة لهم [٤].

وكان بناء الحلة بداية لسعي الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلي الانتقال بالإمارة من مرحلة البداوة إلي مرحلة الاستقرار والحضارة وسكني المدن، وكان من الطبعي أن يكون أعراب بني أسد أهم العناصر العربية في الإمارة لانتشارهم الواسع في جنوب الفرات والصحراء المجاورة بجانب أن إحدي عشائرهم لها القيادة والإمارة وهي إمارة بني مزيد ومن أهم عشائر بني أسد عشيرة ناشرة وعشيرة عوف[٥] إلي

---

(١) عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٣٥١.

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج٩، ص ١٧٠ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٧ .

جانب عدد من العشائر العربية، التي انتشرت في مختلف البقاع التي سيطر عليها بنو مزيد، وفي مقدمتهم بنو خفاجة وبنو عبادة [١] وبعض عشائر بني عقيل[٢]، وكانت السيادة علي هؤلاء جميعاً في بني مزيد وقبيلتهم بني أسد[٣] وكان من الطبعي أن يجتمع بنو أسد حول بني مزيد؛ ذلك أن هذه هي أول مرة في تاريخهم الطويل تكون لإحدي عشائرهم السيادة في أي منطقة سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، أما سائر العشائر العربية فقد وجدت في بني مزيد استعادة لمجدهم الضائع وما فقدوه في ظل اعتماد الخلافة العباسية علي الفرس ثم الأتراك من بعدهم وإسقاطهم من ديوان العطاء منذ عهد الخليفة المعتصم بالله[٤] العباسي [٥].

يلي العرب في قائمة سكان الإمارة الأنباط [٦] وهم من بقايا سكان العراق الأصليين، الذين خضعوا للعرب واكتفوا بالعمل بالزراعة، وقد استخدمت كلمة نبط للإشارة إلي فلاحي العراق المتحدثين باللغة الآرامية[٧] خاصة في جنوبها [٨]. وقد استفاد العرب الكثير من النبط خاصة علم الفلاحة، التي تفرغوا لها بعد قضاء الرومان علي مملكتهم في جنوب الشام، مما جعل كثير منهم يرحل إلي جنوب العراق ثم انتشروا نحو الشمال[٩]. ويبدو أن عدد النبط كان من الكثرة لدرجة أنهم غلبوا علي

---

(١) نفسه.

(٢) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٢٦.

(٣) نفسه،ص ١٢٦.

(٤) الخليفة المعتصم: هو أبو اسحق محمد بن الرشيد خلف أخاه المأمون في الخلافة عام (١٩٥هـ/ ٨١٠م) حتي عام (٢٢٧هـ / ٨٤١م) (ابن الطقطقا: الفخري، ص ص ٢٢٩ – ٢٣٥).

(٥) بدر عبد الرحمن: الحياه السياسية ومظاهرها الحضارية في العراق والشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتي ظهور السلاجقة، مكتبة الآنجلو المصرية، ١٩٨٩،ص،٢٠٥.

(٦) سمي الأنباط بهذا الاسم لإستنباطهم الماء والأرض أي البراعة في زراعة الأرض، أو نسبة إلي نبط بن سابور بن نوح عليه السلام (المسعودي: التنبيه و الإشراف، ص ٦٨؛ المعجم الوجيز، ص ٦٠٠).

(٧) الآرامية: هي لغة سامية وجدت في سورية و ما يحيط بها من مناطق سادت في القرون السابق للمسيح عليه السلام و بعده (الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ١٠٩).

(٨) عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٣٠.

(٩) سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل، ج ١، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٦، ٧ . لقد قامت مملكة الأنباط في شمال الحجاز، نسبة إلي شعب NABATEAI سكان بادية الشام في القرن السادس قبل الميلاد و تحدثوا اللغة الآرامية و عرفوا شدة المراس والعنف وميلهم إلي الغزو وعرفت عاصمتهم بالبتراء أو

سكان العراق ككل قبيل الفتح الإسلامي، وقد كان لهم دوراً كبيراً في الحياة العلمية في العراق، فكان منهم الفلكين والعلماء[١] ونتيجة اشتغال الأنباط بالزراعة في سواد العراق أصبح يطلق عليهم اسم السوادية[٢]. ومن الواضح أنهم لقوا معاملة حسنة من قبل بني مزيد خاصة في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور "، ولم يحدث أن قدموا شكوي ضده، حتي أن السلطان ملكشاه قال حين زار بلاد بني مزيد: " ما من بلد دخلته إلا ويتظلم أهله من أميرهم إلا هؤلاء، ولا شك أسكتهم عدله"[٣]. وبالرغم من ماضي الأنباط العسكري إلا أن انشغالهم بالزراعة أفقدهم هذه الصفة مما جعل إعادة تجنيدهم أمراً مستحيلاً[٤]. ويمكن اعتبار الأنباط ممثلين للقاعدة العريضة للأيدي العاملة في جنوب العراق في ظل أنفة العرب من الأعمال اليدوية و الزراعة.

ومن العناصر السكانية الهامة في الإمارة العنصر الكردي[٥]، الذي عد من أهم عناصر سكان مدينة الحلة، ويرجع ذلك إلي ما بين الأكراد وبني مزيد من صهر و تحالف ساعدهم علي المشاركة بدور واضح في الحياة السياسية والعسكرية في الإمارة، ولم تبين المصادر الظروف التي انتقلت فيها جماعات الأكراد إلي جوار بني

الرقيم و قد أذدهر ملكهم في القرن الرابع قبل الميلاد و ظلوا ذوي مدنية حتي قضي الرومان عليهم عام ١٠٦ قبل الميلاد في عهد الأمبراطور الروماني تراجان وكانت ديانتهم من النوع السامي أساسها طقوس الخصب والمتصلة بالزراعة وكان رأس آلهتهم هو الشمس ثم الات ودوشار (عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ١٥٧ – ١٦٧؛ الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٢).

(١) عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتاصادي، ص ٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٢٩٧ .

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٩٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٣.

(٥) الكرد: هي كلمة دالة علي الشعب الكردي، وهى كلمة فارسية تعني الشجاع أو المحارب وهم شعب قديم انتشر في منطقة واسعة ضمت الجزيرة والعراق وأذربيجان وآران وارمينية وبلاد الروم.و لم يكن هناك بصفة عامة وحدة إدارية تحمل اسم كردستان. وكانوا قبل الإسلام يعتنقون الديانة الذرادشتية ومع ظهور الإسلام اتصل الأكراد بالمسلمين الأوائل اثناء فتح العراق وبلاد فارس ثم تحولوا بصورة تدريجية إلي الإسلام علي المذهب السني، والحقيقة أن تاريخ الأكراد يكتنفه الغموض في معظمه حتي أن معظم العشائر الكردية لا نعرف عنها إلا نبذ (محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ص ١ - ١٤٥؛ كمال بن مارس: العلاقة بين الموصل وحلب، ص ١٩٠ حاشية ١).

مزيد، و يحتمل أن ذلك حدث عقب الصلح الذي تم بين أبي الشوك الكردي [١] والأمير علي بن مزيد عام (٤٠٤هـ / ١٠١٣م) والمصاهرة التي تمت بزواج دبيس بن علي من ابنة أبي الشوك [٢].

ومن أشهر العشائر الكردية التي دخلت في جوار بني مزيد عشيرة الأكراد الجاوانية، ورغم ندرة المعلومات عن هذه العشيرة إلا أن الراجح أنهم قد انتقلوا إلي جوار بني مزيد منذ وقت مبكر، وشاركوا في الصراع بين بني مزيد وبني عمومتهم من بني دبيس بن عفيف الأسدي[٣] فلما هزم "الأمير على بن مزيد" عادوا معه إلي بلاده. ومع إتجاه صدقة إلي بناء الحلة شاركوه في تمصيرها. وإلي جانب الجاوانيين وجدت عشائر كردية مثل النرجسية والبشيرية [٤] لكنها لم تكن أحسن حالاً من الجاوانية، من حيث ذكر المصادر لها فلم نعرف من هذه العشائر إلا أسمائها. وكان الجاوانيون أشد العشائر الكردية مناصرة لبني مزيد؛ وهو ما أدي إلي تسرب الحسد إلي نفوس باقي العشائر، وأدرك السلطان محمد بن ملكشاه هذا الحسد فاستغله في التفرقة بين أنصار الأمير "صدقة الأول بن منصور " بتوزيع أملاكه علي باقي عشائر الأكراد دون الجاوانية وذلك عقب انتصاره علي الأمير "صدقة الأول بن منصور " عام (٥٠١هـ / ١١٠٧م)[٥].

وخير دليل علي متانة العلاقة بين بني مزيد والأكراد، تلك المصاهرات المتبادلة بينهما، ولعل أشهرها زواج منصور بن الأمير " دبيس الأول بن على " بامرأة كردية من عشيرة ورام أنجبت له الأمير "صدقة الأول بن منصور " [٦]. ونظراً لذلك

---

(١) أبي الشوك: هو حسام الدين أبو الشوك فارس بن أبو الفتح محمد بن عنان، ثاني أمراء حكومة بني عنان الكردية حكام حلوان، امتد حكمه من (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) حتي (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) (محمد أمين زكي:المرجع السابق، ص ص ١٢٦، ص ١٣٠) وحلوان آخر مدن العراق من جهة الجبال (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٧).

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٢٤٦ .

(٣) الفيروزبادي: القاموس المحيط، ج ٣، ط ٥، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢١١.

(٤) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٣٢.

(٥) نفسه .

(٦) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٠٣ .

الترابط الشديد بين بني مزيد والأكراد، فقد جعل السلطان مسعود من مهلهل بن أبي العسكر الكردي قيماً علي الأمير محمد بن دبيس لصغرسنة حين تولي منصب الإمارة[١]. ومن الواضح أن الأكراد في الحلة لم يخرجوا من المدينة مع باقي عشائر بني أسد، حتي أن لهم اليوم محلة في الحلة تعرف بالكرد الجاواني[٢] هذا وقد تحولت العشائر الكردية التي سكنت الحلة إلي المذهب الشيعي الإمامي حتي أصبحت لهم اليد الطولي في التشيع[٣].

وإلي جانب هذه العناصر وجدت أقلية يهودية[٤] انتشرت في منطقة جنوب الفرات حول أطلال بابل خاصة حول نهر سورا[٥] وفي منطقة قريبة من الحلة كان لهم أربعة كنائس،كما كان لهم مدرستين في صورة وبمبديثة[٦] وكان اليهود يذهبون إليهما لتعلم أصول الديانة اليهودية[٧]. خاصة الأخيرة التي يوجد بها قبر النبي حزقيل[٨] وبالتالي أعتبرت هذه المنطقة التي خضعت لبني مزيد من الأماكن المقدسة لدي يهود العالم، وهو ما أدي إلي تجمع عدد كبير من اليهود ليستوطنوا هذه المنطقة قدرهم بنيامين التطيلي[٩] بعشرين ألف يهودي، وبالرغم مما يحتمله في هذا الرقم من

---

(١) نفسه، ج ١١، ص ٦٠، ٦١؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٢٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٦٢٥.

(٢) كركوش: تاريخ الحلة، ج ١، ص ٤٣.

(٣) نفسه، ص ٣٢.

(٤) رحل اليهود من فلسطين إلي العراق غصباً في عهد الملك البابلي نبوخذ نصر الذي حجزهم في منطقة قريبة من بابل و رغم رفع السبي عنهم بعد فترة، إلا أن معظمهم فضل البقاء في بابل عملاً بنصيحة نبيهم أرميا (خالد الشنقيطي: يهود العراق، موقع علي الإنترنت بعنوان

www.mafhoum.com/press/irmar0.3-files10.html

(٥) عن موضع نهر سورا راجع الفصل الأول، ص ٥

(٦)صورة و بمبديثة: هما مدينتان في منطقة تفرع قناة النرس من نهر سورا (الفرات) في أقصي الجنوب قبيل البطائح (Mousl: Middle Eaphrates , P276 – 7)

(٧)خالد الشنقيي، يهود العراق، موقع الإنترنت السابق .

(٨)Mousl: op. Cit , p 277

(٩)رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، بغداد، ١٣٦٤ هـ، ص ١٤٠

المبالغة إلا أنه لا يخلوا من دلالة علي كثرة اليهود في منطقة نهر سورا[١].

وكان اليهود يؤدون شعائرهم الدينية بحرية تامة وذكر بنيامين أن الصلاة تؤدي في الكنائس دون تعويق[٢]، وكان اليهود يخضعون للخليفة العباسي في بغداد بصورة مباشرة، لذلك عندما كانت تحدث تجاوزات من قبل اليهود كانت الخلافة تتدخل بصورة مباشرة للحد من هذه المخالفات مثل اتخاذهم كنى مثل كنى المسلمين وتوقفهم عن لبس الغيار[٣] وهو أمر جعل الخليفة المقتدي بأمر الله يرسل الفقهاء والعدول إلي تلك الجهات ليلزموا اليهود بالعودة إلي الإلتزام بهذه الأمور[٤].

وقد قام اليهود في الحلة بأعمالهم المشهورة خاصة الأعمال التجارية، نظراً لأهمية الحلة التجارية بسبب موقعها في طريق بغداد الحجاز فقاموا بالصرافة والجهبذة[٥]، وبالرغم من سكوت المصادر عن توضيح دور اليهود في الإمارة إلا أن هذا الدور ذلك لا ينكر، في ظل إقامتهم داخل دائرة نفوذ بني مزيد، ولم تذكر لنا المصادر العربية أو العبرية أي نوع من الإضهاد أو التعرض لمقدساتهم أو لشعائرهم الدينية، وكانت تبعيتهم لرئيسهم في بغداد المسمي برأس الجالوت[٦].

وإلي جانب هذه العناصر وجد عنصر مغمور وهو الزط، وهو من أصول هندية قام الحجاج بن يوسف الثقفي بنقلهم إلي العراق لدرايتهم بتربية الجاموس، وبالرغم من نفي معظمهم عن العراق نتيجة لثورتهم في عهد الخليفة المعتصم العباسي في القرن

---

(١) ابن القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة؛ القاهرة، ١٩٠٨، ص ١٣٢.

(٢) رحلة بنيامين، ص ١٤١.

(٣) الغيار: هو ملابس تميز غير المسلمين من أهل الذمة فعليهم أن يلبسوا خلاف لباس المسلمين ليعرفوا به، فكان اليهود يلبسون اللون الأصفر علي رؤوسهم و يشد النصاري الزنانير في أوساطهم ويكون لباس النصاري من اللون الأزرق و ألزم المرأة أن تأخذ خفين من لونين متباينين أحدهما أسود والآخر أبيض (أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص ٢٥٠).

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٣٨.

(٥) فؤاد إفرام البستاني: نماذج العناصر البشرية في بغداد زمن العباسيين، مجلة المشرق، ١٩٣٤، بيروت، ٤٣٠.

(٦) رأس الجالوت: هو زعيم الطائفة اليهودية، يختار بالإنتخاب ويوافق عليه الخليفة (أحمد عبد الرازق:المرجع السابق، ص ٢٤٩).

الثالث الهجري[١] إلا أن بقية منهم بقيت في البطائح حتي أن أحدهم قام بإنقاذ الأمير " دبيس الثانى " حين أشرف علي الموت في البطائح حين طارده الخليفة المسترشد عام (٥٢٦هـ / ١١٣١م)[٢].

أما عن التقسيم الطبقي في الإمارة فإنه كان تقسيماً قبلياً ومرجع ذلك إلي غلبة طابع البداوة علي الإمارة، وبالتالي قسم سكان الإمارة إلي ثلاث طبقات مثلها مثل أي قبيلة عربية من صرحاء وموالي وعبيد[٣] أما الصرحاء وهم عصب القبيلة فيتمثلون في بني أسد وعلي رأسهم عشيرة بني مزيد، أما الموالي فيتمثلون في العشائر العربية التي عاشت في جوار بني مزيد بالإضافة إلي العشائر الكردية، أما الطبقة الثالثة فهم العبيد ملك يمين صرحاء وموالي القبيلة ليعملوا في خدمة السادة في مختلف الأغراض، إلا أن الملاحظ أن الطريق كان مفتوحاً للنابغين منهم للعتق والحرية، ومن ثم القيام ببعض المهام في الجهاز الإداري للإمارة حتي وصل أحدهم إلي ولاية أحدي المدن في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور " [٤].

وقد ساد بين بني مزيد عادات وأخلاق اكتسبوها، وتأصلت فيهم منذ كانوا في البادية ومع انتقالهم إلي الحضر واستقرارهم فيه لم يتخلوا عنها ومن أشد هذه العادات رسوخاً مبدأ الجوار، وهو من القوانين العربية الأصيلة الذي كان لها الإحترام والقداسة، وكان هذا الحق يمنح للخليع وهو شخص ينتمي إلي إحدي القبائل حين يرتكب جرماً كبيراً مثل سب أحد الأصنام أو قتله أحد أفرادها، وحينئذ يطرد الجاني من القبيلة ويسمي خليعاً، ومن ثم يلجأ إلي قبيلة أخري يمنحه أحد أفرادها حق الجوار. وبموجب هذا الحق يلتزم كلا الطرفين بأمور منها حماية المجير للجار وصيانة عرضه فلا يعتدي علي نسائه، كما لا يقوم المستجير بأي أمر يؤذي من أجاره وقبيلة من أجاره حتي لا يرفع عنه الجوار. وكان يشترط في المجير أن يكون نداً لمن أجار عليه كأن يكون من السادة أو من ذوي الشأن في القبيلة ممن يتمتعون بعصبية قوية

---

(١) عبد العزيز الدوري :تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٦٨٩؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٤٠.

(٣) عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٨٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤١١ .

وتأييد عشائرهم[١].

وقد لمسنا تأثير هذا الحق في تاريخ الإمارة وتجلي في مناسبات عدة خاصة في عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور " الذي جعل جواره مثابة لكل من طلبه ومن لجأ إليه أصبح في عز ومنعه ولا يسلمه أبداً[٢] ولعل أبلغ مثال يعبر عن مدي تمسك الأمير "صدقة الأول بن منصور " بجوار العربية موقفة من رفض تسليم سرخاب بن كيخسرو إلي السلطان محمد بن ملكشاه واستشهاده بمقولة أبي طالب حين طلبت منه قريش تسليم الرسول : ونسلمه حتي نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٣].

ومن أخص صفات بني مزيد الكرم، كما هو لدي جميع العرب ذلك أن العربي في فترات السلم والرخاء لا يدري للمال قيمة إلا بالكرم حتي يظهر أمام الناس بمظهر السيد الأجل[٤] خاصة إذا كان إلي جواره شاعر ينقل أخبار جوده وكرمه إلي الآفاق[٥]. وكرم بني مزيد أجل من أن يوصف، عبر عنه الشعراء وتناقلته الركبان، حتي سعي إلي نيل جودهم القريب والبعيد، حتي وصف الأمير "صدقة الأول بن منصور " بأنه أجود من في الدنيا[٦] كما وصف بأنه " بحر الندي " لكرمه وجوده وسخاء يده[٧]، كما وصف ولده الأمير " دبيس الثانى " بأنه كان " جواداً كريماً [٨] وأنه " أحد أجواد الدنيا"[٩] وليس أدل علي سخائهم من تجمع الشعراء حولهم يشيدون

---

(١) أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٢٤، ٢٥؛ علي أحمد الخطيب: مقدمة قبل هجرة النبي، ج ٢، ملحق مجلة الأزهر، صفر ١٤١٥ هـ، ص ص ٦٥ – ٦٨.

(٢) الصفدي: الوافي بالوافيات، ج ١٦، ص ٢٩٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٤١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٨٩.

(٥) لامانس اليسوعي: نفسية البدو قبل قيام الإسلام، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٣٢،ص ١٠٨. يجب أخذ هذه المقالة بكثير من الحذر والتحفظ نظراً لسعي لامانس إلي محو صفات العربي في بيئته الأصلية بأدلة وهمية لا أساس لها.

(٦) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم العراق، ج٢، ص ١٨٥.

(٧) ابن الهبارية: الصادح والباغم، ص ٩.

(٨) ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٩١.

(٩) ابن طبا طبا: الفخري، ص ٣٠٢.

بعطاياهم ومننهم[١].

أما الشجاعة فتعد أكثر صفات العرب التصاقاً ببني مزيد ذلك أنه كان لشجاعتهم وقدرتهم علي مواجهة الصعاب دور كبيرفي الصمود علي الساحة السياسية في العراق بصرف النظر عما ورثوه من الشجاعة عن آبائهم من الشدة وعدم المبالاه بالموت[٢] سعياً إلي المعالي وتحقيق أملهم في الظهور علي الساحة السياسية بمظهر القوة الضاربة التي يخشي بـأسها.

وقد كانت العفة وغض البصر من شروط السيادة والزعامة لدي العرب حتي أنهم مدحوها وافتخروا بها[٣]، وكان أمراء بني مزيد مدركين لهذا المبدأ جيداً فتمسكوا بأهدابه فهذا الأمير "صدقة الأول بن منصور " يكتفي بزوجة واحدة، وعندما لحقته علة إحتباس البول دعي الله أن يعفو عنه لصالح أعماله، وأنه لم يعصي الله بفرجه قط، فشفاه الله[٤].

ولم يتخل بنو مزيد عن الوفاء الذي كان ديدنهم ومرادهم، سواء علي الصعيد الشخصي أو الصعيد العام، فقد كانت العهود والمواثيق لديهم مقدسة دائماً فهذا الأمير "صدقة الأول بن منصور " يعاهد زوجته و ابنة عمه، ألا يتسري عليها قط فتعرض لغضب السلطان ملكشاه حين رفض جارية أهدها إليه [٥] كما أن الأمير " دبيس الثانى " لقي مصرعه بسبب الوفاء ورد الجميل لعماد الدين زنكي الذي أحسن إليه بعد أن وقع في يده، فرد دبيس الجميل بتحذيره من مكيدة دبرها له السلطان مسعود بن محمد [٦].

وقد حظيت المرأة بدور هام في الحياه الاجتماعية في الإمارة سواء في السلم أو في الحرب، بالإضافة إلي أن المرأة قد لعبت دوراً هاماً في التحالفات من خلال ظاهرة

---

(١) انظر الحياه الأدبية ص ٢٤٧.

(٢) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٣) عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٩٣.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) نفسه.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢٥٠.

الزواج السياسي. وظهر دور المرأة في الحروب منذ وقت مبكر من تاريخ الإمارة، التي حاولت أن تكون حمامة سلام بين بني مزيد وبني عمومتهم، محاولة نزع فتيل الأزمة التي نشبت بين الطرفين، وكأننا بزوجة دبيس الأول، وهي خارجة متسللة من صفوف زوجها إلي صفوف أخوتها، ساعية لنزع فتيل الأزمة، ومع غضب زوجها لهذا التصرف بينت له سبب فعلها قائلة: " خفت أن كون في هذه الحروب بين فقد أخ حميم أو زوج كريم فعلت ما فعلت رجاء الإصلاح " فعفي عنها[١].

ورغم مساعي المرأة لتكون حمامة سلام في بعض الحروب لم يمنعها ذلك من أن تكون وسيلة لإذكاء حماسة المقاتلين في حروب بني مزيد مع أعدائهم، فقد كان للمرأة دوراً مؤثراً في شد همم الجنود، فهذا الأمير " دبيس الأول بن على " في معركة سنجار (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) يفرق نساءه في القبائل العربية ينادين " يا للعرب !! يا للعرب!! " وهو الأمر الذي ألهب روح العصبية لديهم مما جعل العشائر العربية كتلة واحدة فنجحت في إحراز النصر، وقد أكد المؤيد الداعي الفاطمي ذلك الأمر في رسالة إلي مصر حول معركة سنجار[٢].

نتيجة لهذا الدور الفعال من جانب المرأة، فقد حرص أمراء بني مزيد علي إكرام نسائهم والإحسان إليهن وعدم التسري عليهن إن عاهدهن علي ذلك [٣] وقد قابلت المرأة ذلك الحسان بالوفاء لزوجها وحبها العميق له وهو ما ظهر في مشهد حزين عند لقاء الأمير " دبيس الثانى " بأمه عقب مصرع الأمير "صدقة الأول بن منصور " فبكت علي زوجها الأمير "صدقة الأول بن منصور " بكاءً حاراً [٤]. وبالرغم من زواج الأمير " دبيس الثانى " بأكثر من زوجة إلا أن ذلك لم يمنع اجتماع النساء في مكان واحد يجمعهن حبهن المشترك لذلك الزوج، خاصة في فترات الأزمات والحروب [٥]. وقد تجلي وفاء المرأة لزوجها في حرص كهار خاتون زوجة الأمير "

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٢٤٩ .

(٢) سيرة المؤيد، ص ١٢٤.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٩٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٦٨ .

(٥) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٦٠٩ .

دبيس الثانى " وابنة إيلغازي بن أرتق علي نقل رفات زوجها من فارس إلي ماردين حيث يرقد أبيها[١].

وقد برزت أهمية المرأة في ظاهرة الزواج السياسي التي استخدمت كوسيلة لتوثيق عري الصداقة والتحالف والود مع القوي المحيطة بالإمارة سواء القبائل العربية أو الكردية، أو التركمانية[٢]، فقد صاهر الأمير " دبيس الأول بن على "، قائد جند الأتراك البساسيرى، ليصير حليفاً بعد أن كان عدواً[٣] كما استخدم الزواج السياسي لتوثيق عري التحالف مع الأكراد منذ وقت مبكر من تاريخ الإمارة، فقد تزوج الأمير " دبيس الأول بن على " من ابنة أبي الشوك الزعيم الكردي[٤] كما تزوج منصور بن دبيس من الكرد، وقد أنجبت له هذه الزوجة ابنه الأمير "صدقة الأول" أعظم حكام بني مزيد[٥].

كذلك استخدم نفس الأسلوب في استجلاب رضي ووفاء زعيم البطائح لتأمين الحدود الجنوبية للإمارة، كما استخدم نفس الأسلوب في توثيق العلاقة مع السلطة المركزية في بغداد[٦] حين زوج الأمير "صدقة الأول بن منصور " ولده الأمير " دبيس الثانى " من ابنة الوزيرعميد الدولة بن جهير، وقد اقتدي الأمير " دبيس الثانى " بوالده في ظاهرة الزواج السياسي وتزوج من ابنة ايلغازي بن أرتق[٧].

وإذا كانت حالات الزواج السابقة قد جاءت بمبادرة من أمراء بني مزيد فإن السلطان مسعود بن محمد قد بادر وطلب مصاهرة بني مزيد وتزوج من سفري ابنة الأمير " دبيس الثانى"[٨] كما زوج صدقة الثاني بن دبيس من ابنته[١] فصار الأمر

---

(١) الصفدي: الوافي، ج ١٦، ٢٩٨.

(٢) فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية، ص ٦٣ عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بني مزيد، ص ٤٤٧

(٣) ابن الأثير: الكامل،ج ٩، ص ٢٤٦ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه، ج ١٠، ص ٤٤٩

(٦) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بني مزيد، ص ٢١٧.

(٧) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٥٦١.

(٨) نفسه، ص ٧٢؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٥٣١؛ ابن كثير البداية و النهاية، ج ٦، ص ٧٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ٥٣٢هـ؛ ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٦٥.

بينهما حلفاً بعد أن كان شقاقاً وعداء.

كما قامت المرأة بدور السفير بين الخلافة والإمارة، فقد أرسل الأمير " دبيس الثانى " زوجته ابنة الوزير بن جهير إلي الخليفة المسترشد للمصالحة؛ وبالرغم من فشل المهمة[٢] إلا أن ذلك له دلالة علي الدور الكبير الذي لعبته المرأة في حياة الإمارة. هذا وقد اشتهرت نساء مدينة الحلة بالمناحات والجنائز التي كانت من أهم وسائل نقل الأخبار في أنحاء المدينة[٣].

وقد تعددت وسائل الترويح، تلك الوسائل المتعددة، التي شملت اللهو والغناء الذي شغف به الأمير "صدقة الأول بن منصور " الذي كان يطرب كثيراً للعزف والغناء[٤] كما أن ولده دبيس لم يكن أقل منه حباً للغناء والمغنيين، الذين صحبوه في كل مكان حتي في ميادين القتال[٥]. وإلي جانب الغناء كانت مجالس الشعر والشعراء من أهم وسائل الترويح حيث كانت تلقي الأشعار وتدار كؤوس الخمر علي الحاضريين[٦].

كذلك روحوا عن أنفسهم بالصيد من البادية القريبة حيث كانوا يصطادون الأرانب والغزلان مستخدمين وسائل متعددة للصيد بالرمح عن طريق تتبع الفريسة حتي يصل إلي موضع يمكنه منه طعن الضحية طعنة نافذة، واستخدموا الطيور الجارحة مثل الباز كما عرفوا ترويض الوحوش وإستخدامها في الصيد مثل الفهود،وكانت المتعة تتم حين تنتهي الرحلة ويركن الأمير إلي الراحة حتي يطهي الطهاة ما صاده من البوادي، ليستمتع به مع رفاقه علي أنغام الموسيقي وأشعار الشعراء[٧].

وبالرغم من أن تلك المجالس ورحلات الصيد كان الهدف منها الترويح إلا أنها كانت – أيضاً – وسائل لتأليف القلوب من خلال تقريب الناس إلي الأمير فكان الأمير "صدقة الأول بن منصور " يجلس في وسط ضيوفه وخلانه لا يتميز عنهم وكذا دبيس

---

(١) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٨٩.

(٢) ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٣) نفسه.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٩٨.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٢٤٢.

(٦)الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٧٩.

(٧) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ١، ص ٧٨، ٢٢٥.

ولده، حتي تعلقت بهم قلوب رعيتهم عرباً وعجماً[١].

الحياة الثقافية:

رغم طول الفترة الزمنية التي عاشتها الإمارة والتي قاربت القرن ونصف القرن، إلا أن ما قدمته في مجال العلوم والآداب يعد قليلاً إذا قورن بمثيلاتها من الإمارات؛ ومرجع ذلك غلبة الطابع البدوي علي الإمارة وبالتالي لم يوجد بها مراكز علمية ذات قيمة، الهم إلا أن مدينة الحلة التي سعي الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلي جعلها قاعدة علمية وأدبية فجمع بها مئات الكتب بخطوط مؤلفيها[٢] لتحقيق هذا الهدف إلا أن قصر المدة التي قضاها بالمدينة منذ إنشائها وحتي مصرعه عام (٥٠١هـ/١١٠٧م)، بالإضافة إلي تدهور حالة الإمارة بصفة عامة حالت دون جعل الحلة قاعدة علمية وأدبية إلا في نطاق ضيق حقيقة أن الحلة قد نسب إليها بعد ذلك عدد ليس قليل من العلماء والآدباء لكن ذلك جاء بعد نهاية ملك بني مزيد.

ولعل أبرز الفنون الأدبية التي تميزت بها إمارة بني مزيد هي الشعر الذي برز فيه جُل أمراء بني مزيد، وقد تركوا لنا قطعاً شعرية تدل دلالة قاطعة علي شاعرية هؤلاء الأمراء وقدر تذوقهم لهذا الفن الرفيع، وقد نال منهم الشعراء العناية والرعاية؛ ومرجع ذلك إلي أهمية الشعر كأداة إعلامية للإشادة بالأمراء وسياستهم وكرمهم وجودهم وهو ما يزيد من شعبيتهم وتثبيت أقدامهم في التربة العراقية [٣] يضاف إلي ذلك غلبة الطابع البدوي علي الإمارة مما جعلهم يسلكون درب عرب الجزيرة المحبين للشعر الرافعين شأنه.

وكان الأمير " دبيس الأول بن على " من المحبين للشعر والشعراء، وبالرغم من ضألة ما وصلنا من شعره، إلا أنه يدل علي مدي تمكن الأمير من الشعر وبحوره، وقولة في أغراضه المختلفة مثل البكاء علي الأطلال[٤] وكذلك التعبير عن تمكن

---

(١)الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٩٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ٤٤٨.

(٣) عبد الجبارناجي: الحياه الأدبية في الحلة في عهد بني مزيد؛ مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد السادس، ١٩٧٧، ص ٩٢؛ لامنس اليسوعي: نفسية البدو قبل الإسلام؛ مجلة المشرق، ١٩٣٢، ص ١٠٨.

(٤) في هذا الغرض يقول:

العقيدة الشيعية من نفسه[١] ولم يكن ولده منصور بن دبيس بأقل شاعرية منه، فقد كانت رسائله تكتب شعراً منظوماً مثل الرسالة التي رد بها علي قريش بن بدران العقيلي، الذي أرسل يستفسر عن سبب تأخير المدد الذي طلبه منه لصد هجمات الأعراب عن دياره، فرد الأمير منصور شعراً وضح فيه سبب تأخر المدد[٢]. وقد برع منصور أيضاً في استخدام الشعر كوسيلة للتعبير عن آرائه المختلفة في الأخلاق والمباديء وافتخاره بمبدأ الجوار البدوي[٣] كما برع في تصوير فلسفة الحياة والموت والتسليم بالقضاء والقدر[٤]

- حدا الحادي بشعر حين ساروا وبالإسحار أيقظهم أنيني.
- وكنتُ علي فراقهم معيناً لذلك لم أجد صبري معيني.
(الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ١٠٥).

(١) في هذا الغرض يقول:
- حب علي ابنِ أبي طالبٍ للناس مقياس ومعيارُ.
- يُخرج ما في أَصلهم مثل ما تخرج غش الذهب النار.
(الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٥١٠).

(٢) من رسالة قريش إلي اللأمير منصور قوله:
- أَ مدرع الدجي خببا ووحدا ومزجي العيش أرقالاً وشدا.
- إذا عاينت من أسد حلال بها النعماء للوراد تسدي.
- أأنسيت الوفاء وكنت قدما عقدت علي الوفاء بهن عقدا.
- ترقبت السرية منك تأتي بفرسان الوغي شيباً و مردا.

- و من رد منصور عليه:
- أيا مهدي المديح وأي شيء أجل من المديح يهدي.
- ولو أني جريت علي اختياري قددت إليكم الفلوات قدا.
- لتعلم أن بيت بني علي بكم و لكم يعد إذا استعدا.
(العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، ج ٢، تحقيق د.شكري الفيصل، دمشق، ١٩٥٩، ص ٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) في هذا الغرض يقول منصور:
- فإن أنا لم أحمل عظيماً ولم أقد لهاما، ولم أصبر علي فعل معظم.
- و لم أجر الجاني و أمن حوزه غداة أنادي للفخار وأنتمي.
- (ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٥٠).

(٤) حول هذا الغرض يقول منصور:
- فإن كان أودي حدثنا وندمينا أبو مالك فالنائبات تنوب.

أما الأمير "صدقة الأول بن منصور " فقد ترك لنا قطعاً أدبية تدل علي تذوقه الفطري للشعر ومقاصده استخدمها في أغراض مختلفة مثل الرسائل[١] وبعض اللطائف[٢] وقد وصف بأنه كان " يهتز للشعر اهتزازاً" واشتهر بحبه لجمع الشعراء حوله وتقدير كل منهم بقدره الذي يستحق[٣].

كذلك أجاد الأمير " دبيس الثانى " نظم الشعر واستخدمه في أغراض مختلفة منها ما هو في فلسفة الحياه و تقلب الدهر(٤) أو الرد علي رسائل أخوته[٥] كما عبر عن

- فكل ابن أنثي لا محالة ميت وفي كل حي للمنون نصيب.

(ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٥١).

(١) من رسائل الأمير "صدقة الأول بن منصور " المنظومة رسالة نظمها علي لسان سرخاب الديلمي إلي السلطان محمد بن ملكشاه قائلاً:

- هبني كما زعم الواشون لا زعموا أذنبت حاشاي أو زلت بي القدم.
- و هبك ضاق لك الإنصاف عن جرم أجرمته أيضيق العفو و الكرم.
- ما أنصفتني في حكم العلي أذن تصغي لواش و عن عذري بها صمم.

(الصفدي: الوافي، ج ١٦، ص ١٩٨؛ العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ١٦٥).

(٢) من الطائف من شعر صدقة قوله في قطه هاجمته: أما أنه لو كان غيرك أرقلت إليه بالرعاف الراذم.

(العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ١٦٦).

(٣) نفسه.

(٤)في ذلك يقول:

- إن االليالي للأنام مناهل تطوي وتبسط بينتها الأعمار.
- فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار.

(ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٩٠).

(٥) من رسائل منصور بن صدقة إلي أخيه دبيس الثاني:

- ألا قل لبدران الذي حن نازعا وقل لدبيس أنني لغريب.
- هنيئاً لكم ماء الفرات وطينه إذا لم يكن لي في الفرات نصيب.

فأجابه دبيس:

- ألا قل لبدران الذي حن نازعاً إلي أرضه والحر ليس يخيب.
- تمتع بأيام السرور فإنما عذر الأماني بالهموم يشيب.
- و لله في تلك الحوادث حكمة وللأرض من كأس الكرام نصيب.

(ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٩٠؛ ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٢، ص ١٦٣).

غدر الزمان والخلان في أوقات الأزمات[١] وقد حدا هذا الثراء الشعري لدي الأمير " دبيس الثانى " بالأصفهانه إلي أن جعله في الطبقة الثالثة من الشعراء كما جعل والده من شعراء الطبقة الثانية[٢].

ولم تقتصر الشاعرية في بني مزيد علي من تولي الإمارة منهم، بل وجد من بني من ترك لنا أشعاراً جيدة منهم بدران بن صدقة الذي فر من العراق بعد مصرع والده وتنقل بين البلاد حتي استقر في مصر ثم عاد إلي بغداد فقيراً معدماً، وقد برع في عدة فنون شعرية خاصة وصف الجيوش وصدام الفرسان عند اشتعال الحرب[٣]. ومن أبناء الأمير"صدقة الأول بن منصور " الذين عدوا من الشعراء منصور بن صدقة، الذي ضرب بسهم وافر في حركة الأمير " دبيس الثانى " ضد الخليفة المسترشد بالله، وقد جعله العماد الأصفهاني[٤] من شعراء الطبقة الثالثة في خريدته، ومن مشاهير بني مزيد من الشعراء، الأمير صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس، وقد ولد في فترة متأخرة من تاريخ الإمارة عام (٥٣٨ هـ / ١١٤٣م) وقد أجاد الشعر حتي وصف بأنه بلبل صداح، وقد فر من الحلة عام (٥٥٨هـ / ١١٦٢م) وسار إلي سورية وأصبح من أعظم شعراء الباطنية في الشام [٥].

وقد شجع أمراء بنو مزيد الشعراء وأغدقوا عليهم الأموال والخلع والهدايا، ومن أبرز من شجع الشعراء من بني مزيد الأمير " دبيس الأول بن على "، الذي أفاض من كرمه علي الأدباء والشعراء، وهو الأمر الذي حدا بهم إلي مدحه بقصائد مطولة مدحوا فيها جوده وكرمه وشجاعة في حياته، وأكثروا من رثائه بعد وفاته[٦]. أما حفيده الأمير "صدقة الأول بن منصور " فقد أكثر من جمع الشعراء حوله، وأغدق عليهم المال والخلع، وساعده علي ذلك زيادة موارد دخل الإمارة في ظل توسعها،

---

(١) عبد الجبار ناجي: الحياه الأدبية في الحلة، ص ٩٧.

(٢) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ١٦٣، ١٧٠.

(٣) عبد الجبار ناجي: الحياة الأدبية، ص ٩٧.

(٤)العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ١٦٣، ١٧٧.

(٥) عبد الجبار ناجي: الحياة الأدبية في الحلة، ص ١٠٩– ١١١.

(٦) ابن الأثير: الكامل،ج ١٠، ص ١٢١ .

بالإضافة إلي حاجته للشعراء للإشاده به وبأعماله فاشتهرت مجالس الأمير "صدقة الأول بن منصور " الشعرية، التي ضمت نخبة من شعراء عصره الذين رحلوا إلي الحلة طالبين جوده وكرمه ومننه مثل الشاعر السنبسي[١].

كما حضر إلي بلاطه الشاعر المطاميري [٢] الذي كان من أفاضل الشعراء، وكان أفضل إنتاجه يظهر عند مناظرة غيره من الشعراء أمام الأمير "صدقة الأول بن منصور " خاصة الشاعر السنبسي[٣] كما وفد علي صدقة الشاعر العظيم الأبيوردي [٤]، الذي حظي بكثير من التقدير والجوائز كما حرص صدقة علي إرضائه خوفاً من غضبه منه والتشهير به[٥]. ولم يأت اهتمام صدقة بالشعراء لمجرد الأنس أو المباهاه بكثرتهم بقدر ما هو رغبة منه في إستغلال الشعراء لرفع ذكره بين القبائل مما يؤكد أنه ملك العرب بحق. وممن زار الحلة من الشعراء أبو المعالي الهيتي [٦].

ومن أبرز شعراء الحلة علي بن أفلح الذي عمل كاتباً للأمير "صدقة الأول بن

---

(١) السنبسي: هو محمد بن خليفة السنبسي العراقي الإنباري، أصله من هيت، لقب بالقائد، ولد و عاش في هيت، وخدم في بلاط الأمير "صدقة الأول بن منصور "، وكان من أعظم شعرائه، لكنه نفر من الأمير " دبيس الثانى " فرحل إلي بغداد حيث لقي الإعزاز و الإكرام (القفطي: المحمدون من الشعراء و أشعارهم، تحقيق رياض عبد الحميد، دمشق، ١٩٧٥، ص ٤١٨، ٤١٩، العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٢٠٩؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ٣٥٠؛ علي جواد الطاهر: الشعر العربي في العصر السلجوقي، بغداد، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) المطاميري: هو مقدار بن بختيار أبو الجوائز، شاعر دولتي المستظهر و المسترشد، كان من المقربين الأمير "صدقة الأول بن منصور " (الأصفهاني: خريدة القصر قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٢٠٠؛ علي جواد الطاهر: الشعر العربي، ص ٢٢٩).

(٣) العماد الأصفهاني: خريدة القصر قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) الأبيوردي: هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأبيوردي، كان عارفاً بالعربية وبالعلوم الأدبية، متكبراً عظيم الهيبة ولي خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد و زار الحلة و مدح الأمير "صدقة الأول بن منصور "، توفي (٥٠٧هـ / ١١١٣م) (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، تحقيق د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، طرابلس، ١٩٩٣، ص ص ٢٣٦٥ – ٢٨١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤،ص ٤٤٤).

(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٣٧٥، ٢٣٧٦.

(٦) الهيتي: هو محمد بن علي الفارسي، كان يتكسب بالشعر، كتب عنه أبو طاهر السلفي ببغداد والحلة، توفي عام (٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م) (كركوش: تاريخ الحلة، ج ٢، ص ٤٦).

منصور " منذ بدايتة ولايته وانتقل معه إلي الحلة وبعد مصرعه رحل إلي بغداد، وتظاهر فيها بدمح الخلفاء في حين أنه كان جاسوساً لدبيس بن صدقة ولما كشف أمره فر منها[١] وقد انتشرت أخبار جود وكرم صدقة في كل مكان فتكالب علي بلاطه الشعراء ومن لم يستطع المثول بين يديه أرسل من ينوب عنه حاملاً ما كتب في مدح الأمير "صدقة الأول " وأشهر من فعل ذلك الشريف ابن الهبارية[٢] الذي نظم أرجوزته " الصادح والباغم " وأرسها مع ولده لإعتلال صحته هدية إلي صدقة،الذي أعجب بها، فمنحه مكافئة كبيرة[٣] ورغم كرم وجود صدقة وتقديره لهم إلي أن بعضهم اتخذ منه موقفاً عدائياً وعلي رأسهم الشاعر الغزي[٤] ولم تحدثنا المصادر عن سبب هذا العداء لكن أحد الباحثين يرجح أن ذلك جاء نتيجة إهمال صدقة له حين زار الحلة [٥] ولكن المرجح وجود عداء مسبق من قبل الغزي لصدقة لسبب غيرمعروف أوكتابته لآشعار قدحاً في صدقة إرضاء لأعدائه. وقد شمت الغزي في مقتل صدقة وكتب في ذلك شعراً [٦] لكن هذه المعارضة و المباينه لم تكن إلا قطرة من بحر

---

(١) ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٨٩؛ علي جواد الطاهر: الشعر العربي، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) ابن الهبارية: هو الشريف أبو يعلي محمد بن صالح بن حمزة بن عيسي الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور، أشتهر بجودة شعره و كثرة هجائه و بذائة لسانه، حتي لم يسلم أحد ومن لسانه، ترك عدة مؤلفات منها " نتائج الفطنة في نظم كليلة و دمنة " وديوان شعر وكتاب الصادح والباغم " وقد نسب إلي هبار جده لأمه، توفي عام (٥٠٩ هـ / ١١١٥م) أو (٥٠٤هـ / ١١١٠م) علي اختلاف بين المؤرخين (ابن الهبارية: الصادح و الباغم، تحقيق عزت العطار، القاهرة، ١٩٣٦، ص ص ٤ –٧؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٥٣؛ علي جواد الطاهر ك الشعر العربي في العراق، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٥٧.

(٤) الغزي: هو أبو الحسن إبراهيم بن عثمان بن يحي بن محمد الكلبي الأشهبي، شاعر محسن رحل إلي دمشق و تلقي العلم بها عن الفقيه المقدسي سنة (٤٨١هـ / ١١٨٨م) ورحل إلي بغداد وعمل بالمدرسة النظامية عدد من السنين، اشتهر بالمدح والرثاء، ثم ترك بغداد إلي خراسان، وكان ميلاده عام (٤٤١هـ / ١٠٤٩م) وتوفي عام (٥٢٤هـ / ١١٢٩م) وعمره ثلاث وثمانون سنة (بدر الدين الزركشي: عقود الجمان و تذييل علي وفيات الأعيان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم ١١٤١، ص ٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٧).

(٥) عبد الجبار ناجي: الحياة الأدبية في الحلة، ص ١٠٦.

(٦) من أشعار الغزي في مصرع صدقة:

- أقام بأرض بابل مستبـداً يراسله الإمام فما يلين
- و يوسعه غياث الدين حلماً وغير مثقف ما لا يلين

الرضا والسعي من الشعراء لنيل جوائز الأمير "صدقة الأول بن منصور " ومنحه وهباته.

وبالرغم من مصرع الأمير"صدقة الأول بن منصور " عام (٥٠١هـ / ١١٠٧م) إلا أن الشعراء لم ينقطعوا عن الحلة، وأن كان عددهم أصبح أقل خاصة مع اضطراب أحوال الإمارة في عهد الأمير " دبيس الثانى "، ومع ذلك اجتمع حول دبيس عدد من الشعراء والأدباء وعلي رأسهم الشاعر الشهير حيص بيص[١] الذي تردد علي دبيس عدة مرات رغم غضب الخليفة المسترشد لذلك[٢]. ولكن كرم الأمير " دبيس الثانى " كان أكثر إغراء من غضب الخليفة.

ومن الواضح أن دبيس كان لا يمنع الشعراء عن مجلسه حتي لو كان في استقبال السفراء، وأحياناً كانويتدخلون فيما يدور بين دبيس والسفراء لدرجة أن هذا التدخل كان يمكن أن يؤدي إلي فشل المفاوضات وهو ما كان يغضب دبيس كثيراً [٣].

وقد طبقت شهرة دبيس الآفاق لجوده وكرمه حتي أن الحريري[٤] صاحب المقامات قد سعي إلي نيل جوده وكرمه فذكره في المقامة التاسعة والثلاثين واصفاً إياه بالشجاعة وما أن وصل خبر ذلك لدبيس حتي سارع بإرسال الجوائز والخلع إليه حتي

- يزيد بثروة وطنين صوت وأجنحة البعض لها طنين

(الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ١، ص ٥٧).

(١) حيص بيص: هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي، من ولد أكثم الصيفي، كان فقيهاً شافعياً ثم غلب عليه الأدب ونظم الشعر وأجاد فيه، مدح الأمير " دبيس الثانى "، وتوفي عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) (الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ١، ص ٢٠٢، ٢٣٩).

(٢) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٩١.

(٣) من هؤلاء الشعراء الشاعر العوذي الذي أفسد المفاوضات بين دبيس الثاني ورسل الخليفة المسترشد حين قال في حضرة الرسل:

- هم زرعوا العداوة لا لجرم فدونك واصطلمهم للحصاد.

-و لا ترهب قعقاعهم فليست قعقاعهم سوي لبس السواد.

(ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٢٤٨٢).

(٤) الحريري: هو أبو القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي، نسبة إلي محلة بني حرام بالبصرة، صاحب المقامات الشهيرة، ألف المقامات وعدد من المؤلفات توفي عام (٥١١هـ / ١١١٧م) (ابن خلكان: و فيات الأعيان، ج ٣، ص ص ٢٣٥، ٢٣٧)

وصفت بأنها أصعب من أن توصف لكثرتها[١]. وبمصرع الأمير " دبيس الثانى " لم يجد الشعراء من يرعاهم في إمارة بني مزيد فانفضوا عنها.

أما عن النواحي العلمية فإن مدينة الحلة قد أخذت دوراً متنامياً من الناحية العلمية، فقد تدفق العلماء إلي بلاد بني مزيد بعد أن هاجر الشيخ الطوسي[٢] إليها عام (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) عقب فتنة بين السنة والشيعة، و هو ما دفع الطوسي إلي الفرار إلي النجف ليستقر بها[٣] فأخذ أهل التشيع يجتمعون حوله من كل مكان [٤] ولما صارت الحلة مدينة مستقرة، أخذ علماء النجف يرحلون إليها طلباً للرعاية و الحماية من أمراء بني مزيد.

وقد اشتهرت الحلة بعدد من الأسر العلمية منها أسرة مزيد نفسها وعلي رأسها الشيخ جمال الدين أحمد الذي اشتهر بالأدب و روي عنه ناقلي فقه الشيعة عن الشيخ الطوسي[٥] حقيقة أن هؤلاء العلماء قد اشتهروا بعد انهيار إمارة بني مزيد، لكن ذلك يعد دلالة علي الأساس العلمي الذي وجد في عهد بني مزيد.

ومن الأسر العلمية التي اشتهرت في الحلة أسرة البطريق و منها الشيخ يحي بن البطريق الأسدي الحلي و هو من أعلام المذهب الشيعي و قد روي عنه عدد من العلماء كما ترك عدة مؤلفات[٦] أيضاً اشتهرت أسرة آل نما و هم من زعماء الشيعة منذ عهد الشيخ الطوسي.

وإلي جانب الأسر العلمية وجد عدد من العلماء المشاهير مثل خزيمة بن محمد

---

(١) الشريشي: شرح مقامات الحريري، ج ٢، مطبعة بولاق، بدون تاريخ، ص ص ٢٣٥ – ٢٣٧).

(٢) الشيخ الطوسي: من أفاضل العلماء و الأئمة الأمناء، كان شيعياً علي مذهب الإمامية أشتهر بالزهد والورع وكان وقته مقسماً بين العبادة والتصنيف والتأليف، ترك عدة مصنفات منها " فهرست المصنفين " وكتاب " مصباح المتهجدين " وكتاب " النهاية في الفقه " وكتاب " الجمل والعقود " و " تفسير التبيان " توفي عام (٤٦٠هـ/ ١١٦٨م) بمشهد الإمام علي – رضي الله عنه – (ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٢٥٢؛ ابن افوطي: تلخيص مجمع الألقاب، ج ١، ص ٨١٦؛ الذهبي: التفسير و المفسرون، ج ٢، القاهرة،١٩٦١، ص ٤٢).

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٢، ص ١٧٩.

(٤) كركوش: تاريخ الحلة، ج ٢، ص ٤.

(٥) نفسه، ص ١٢، ١٣.

(٦) كركوش: تاريخ الحلة، ج٢، ص ١٢،١٣.

الأسدي النحوي، وكان من أهل الحلة تلقي العلم عنه كثير من الطلاب علمى النحو واللغة[١]. ومن أفذاذ علماء اللغة شميم الحلي [٢] وكذا العلامة بن جيا[٣] الملقب بشرف الكتاب، وقد عاصر الأمير "صدقة الأول بن منصور "[٤]. ومن أعظم فقهاء الحلة الشيخ محمد بن إدريس الحلي الذي سعي إلي التجديد في الفكر الشيعي لإخراجه من حالة الجمود التي غلبت عليه بعد الشيخ الطوسي.

ونتيجة الحركة العلمية الزاخرة بالفقهاء والكتاب و الأدباء، وصف الشيخ كركوش الحلي مدينة الحلة بأنها " أرقي المدن الإسلامية، وأن مدرستها أكبر جامعة إسلامية "[٥] والمبالغة واضحة، ذلك أن وصف مدرسة الحلة بأنها أعظم مدرسة إسلامية أمر لا يؤخذ به؛ ذلك أنه لا يمكن مقارنة الحلة ببغداد، اللهم إذا كان يقصد أنها أعظم المدن الإسلامية الشيعية لما بها من أماكن مقدسة لدي الشيعة. ومهما يكن من أمر فإن كل ما يمكن قوله هو أن جهود بني مزيد قد جعلت الحلة أرضاً ممهدة للحياة العلمية، أما الفترة التي عاشتها الإمارة من (٤٩٥ هـ/ ١١٠١ م) حتي (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) فلم تكن كافية لظهور الحلة بالوصف الذي وصفه الشيخ كركوش.

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٤٩.

(٢) شميم الحلي: كان أديباً فاضلاً خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب، له شعر جيد، ترك عدة مؤلفات منها كتاب الحماسة (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٣٩).

(٣) ابن جيا: هو أبو الفرج محمد بن جيا، قرأ ببغداد علي بن الخشاب، وسمع علي القاضي عبد الواحد، توفي عام (٥٧١هـ / ١١٧٥م) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء العراق، ج ٢، ص ٥٢).

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٣٨٦.

(٥) كركوش: تاريخ الحلة، ج ٢، ص ٥٢.